الركن لذلك فلم يكن قد رآها .

وكانت الفتاة لا تزال واقفة حيث هي . فغمغم بصوت مختنق وهو يشير بعينيه الى حيث وقفت سونيا وقد بان الذعر في نظراته وهو يحاول النهوض !

ـ من هذه ؟ من هذه ؟..

فصاحت كاترين ايفانوفنا :

ـ ابقَ مستلقيا ... استلقِ مكانك !

لكنه بذل جهدا خارقا وتوصل الى الاعتماد على ذراعه والتناهض قليلا وظل لحظات يحدق في وجه ابنته بنظرة غريبة ثابتة كما لو كان لا يعرفها خصوصا وانه لم يكن قد شاهدها من قبل في مثل تلك الملابس . وفجأة بدا على وجهه انه فهم وعرف ، أما هي فقد اعتراها الخجل والوهن وهي في ملابسها اللامعة البهيجة اللون . كان تنتظر باشفاق بالغ وحنان ان يحل دورها لوداع أبيها المحتضر . وانبعثت من صدر مارميلادوف أنة عميقة وعلا وجهه ألم شديد وهتف بأعجوبة :

ـ سونيا ... ابنتي ... اغفري لي !

واراد ان يمد لها يده لكنه تخاذل وهوى على « الديوان » واحدثت تلك الحركة الفجائية هزة كان من تأثيرها ان تدحرج المسكين على الارض منكفئا على وجهه . وهرع المجتمعون فاحتملوه وأعادوه الى الفراش ، لكنه كان قد مات !

اطلقت سونيا صرخة ضعيفة وارتمت على ابيها وراحت تضمه الى صدرها بحنان فكانت آخر لحظاته بين ذراعيها . بينما راحت كاترين ايفانوفنا تقول :

ـ لقد انتهى هو ! ولكن ما العمل الان ؟ كيف سأواريه التراب ؟ واطفالي كيف سأطعمهم غدا ؟

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

فاقترب راسكولنيكوف وقال :

ـ ايا كاترين ايفانوفنا ، لقد قص عليَّ المرحوم في الاسبوع المنصرم تفصيلات عن حياته . ثقي انه كان يتحدث عنك باحترام بالغ . وقد علمت منذ ذلك المساء كم كان متفانيا في حبكم وكم كان يحبك انت يا كاترين ايفانوفنا رغم عادته التعيسة ولقد امسينا اصدقاء منذ تلك الليلة . فاسمحي لي الان أن أساهم ... أن أقدم واجباتي الاخيرة نحو صديق راحل . هذه عشرون روبلا واعتقد اذا كان الامر لا يزعجك ... انني .. سأمر .. سأمر غدا حتما فالوداع !

وخرج من الحجرة بخطى مسرعة وهو يشق لنفسه طريقا حتى وصل الى السلم . وهنا اصطدم بـ : نيكوديم فوميتش الذي بلغه الحادث فاراد ان يقوم بالتحقيق بنفسه . وكان راسكولنيكوف منذ حادثة البوليس لم يلتقِ به غير ان نيكوديم فوميتش عرفه للوهلة الاولى ! فهتف :

ـ ماذا ؟ اهذا انت ؟

فاجاب راسكولنيكوف :

ـ لقد مات وقد جاء الطبيب والقس وانتهى الامر ! لا تعذب المرأة المسكينة فهي مصدورة . طيب خاطرها اذا امكن ... وانت

ـ بعد كل هذا ـ رجل طيب .

نطق بتلك الجملة الاخيرة بلهجة ساخرة وهو ينظر في عيني رئيس البوليس ! فقال هذا ملاحظا !

ـ لكن كم انت ملطخ بالدماء ؟

فاجاب هذا بلهجة غريبة :

ـ نعم لقد اتسخت ! انني مغطى بالدماء !

ثم تابع طريقه وراح يهبط السلم بحركات محمومة غير مبالٍ

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

بحاله وقد امتلأت نفسه باحساس استمد منه قوة غامضة ... ان ذلك الاحساس يمكن ان يكون مشابها لذلك الذي يعتمر عادة في نفس المحكوم عليه بالاعدام الذي يبلغه فجأة نبأ العفو عنه ! وقد التقى عند منتصف السلم بالقس الذي كان عائدا الى واجباته . فنحى راسكولنيكوف ليفسح له مجال تخطيه وتبادل معه تحية صامتة . ولم يلبث أن سمع وراءه صوت خطوات متلاحقة سريعة ، فالتفت مسرعا ليجد الصغيرة بوليا تركض على آثاره تصيح :

ـ اصغ ! اصغ !

توقف منتظرا وصول الطفلة التي وقفت تلهث تفصلها عنه درجة واحدة من درجات السلم ، وكان ضوء خافت شاحب يتسلل من الباحة الى حيث وقفا . راح راسكولنيكوف يتأمل وجه الطفلة النحيل فكانت تبتسم له وهي تنظر في وجهه بمرح بريء ساذج . جاءت على ما يبدو لتنجز مهمة كانت ولا بد تحدث في نفسه اثرا بليغا .

قالت الفتاة اللاهثة بصوت مختنق :

ـ اسمع يا سيد ! ما اسمك واين تقطن ؟

فوضع راسكولنيكوف ذراعيه على كتفي الطفلة وراح يتأملها معجبا بها دون ان يدرك السبب وقال :

ـ من ارسلك ؟

فاجابت الفتاة وهي تبتسم ابتسامة ملائكية :

ـ اختي الكبيرة سونيا .

ـ كنت اعرف انها هي التي ارسلتك !

ـ لقد ارسلتني امي ايضا . اذ عندما طلبت الي اختي ان اتبعك قالت امي وهي تقترب منا ! اسرعي يا بوليا !

ـ هل تحبين اختك سونيا كثيرا ؟

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

فقالت الطفلة بصوت يشوبه انفعال ملحوظ وقد اصبحت ابتساماتها ذات طابع جدي :

ـ احبها اكثر من كل شيء في الحياة !

ـ وانا هل ستحبينني ؟

فقربت الفتاة وجهها البريء من وجهه ومدت له شفتيها المكتنزتين بقبلة ساذجة ثم ضمته بذراعيها الناحلين بشدة بينما اسندت رأسها الى كتف راسكولنيكوف وراحت تبكي بهدوء وهي تضغط وجهها على كتفه ضغطا متزايدا ! وراحت تغمغم :

ـ يا لأبي المسكين !

ثم رفعت رأسها بعد برهة وراحت تمسح دموعها بظهر يديها واضافت :

ـ يا للبلاء الذي وقع اليوم !

كانت تتحدث بتلك اللهجة الخاصة التي يعمد اليها الاطفال لما يرغبون في تقليد « الكبار » فقال راسكولنيكوف :

ـ هل كان ابوك يحبك ؟

فأجابت بتلك اللهجة الجدية دون ان تبتسم تماما كما يتحدث الكبار :

ـ انه كان يحب اختي الصغرى « ليدي » اكثر منا جميعا . كان يحبها لانها صغيرة ولانها مريضة فكان يأتيها بالهدايا ، أما نحن فكان يعلمنا القراءة وكان يعلمني « القواعد » و « الديانة » وكانت ماما لا تقول شيئا لكننا كنا نعرف انها مسرورة لذلك وبابا الصغير كان يعرف ذلك بالمثل . ان امي تريد ان تعلمني الفرنسية لان الوقت قد ازف بالنسبة الي لابدأ ثقافتي !

ـ وهل تعرفين الصلاة ؟

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ طبعا ... كيف لا ؟ اعرف الصلاة منذ بعيد ، وبما انني لست صغيرة فأنني أصلي لوحدي . أما لوكيا وليدي فهما يصليان بصوت عال مع امي ويستظهرون « احييك يا ماري » وصلاة اخرى : « رباه بارك اختنا سونيا » وثالثة : « رباه اصفح عن ابينا الاخر وباركه»... لان ابانا الاول قد مات وكان هذا ابونا الثاني لذلك فنحن نصلي كذلك من اجل الاول !

ـ يا بوليا الصغيرة ، ان اسمي هو روديون فصلي احيانا من اجلي وقولي « من اجل روديون المسكين » وليس اكثر !

فعادت الطفلة تقول بحماس وهي تعانقه بشدة بذراعيها وتضحك بحبور :

ـ سأصلي من اجلك طيلة عمري !

أعطاها راسكولنيكوف اسمه وعنوانه ووعد بزيارتهم غدا دون تأخير فعادت الطفلة متحمسة قرير العين ، ولما بلغ الشارع كانت الساعة قد تجاوزت [illegible] نهض خمس دقائق حتى كان واقفا على الجسر في المكان الذي القت به العجوز بنفسها الى الماء بالذات ! غمغم منتصرا :

ـ كفى ! كفى !... الى الوراء ايها السراب ، الى الوراء ايتها المخاوف الخرقاء ! الى الوراء ايتها الخيالات ! ان الحياة موجودة ! ألست حيا في هذه اللحظة ؟ ان حياتي لم تمت بموت العجوز ... لقد اصبحت ـ هي ـ في العالم الآخر ، يكفيك ايتها العجوز ! دعي الاخرين بسلام ! لقد اكتسبت الان العقل والنور ! الارادة ! القوة !... ولسوف نرى ! لنا نحن الاثنين الآن ! ألم أقرر الابقاء على حياتي في فراغ مساحته قدمان ؟

سكت برهة ثم اردف بلهجة متعالية كما لو ان قوة خفية كانت

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

تتحـــداه :

ـ انني الان ضعيف جدا لكنني اعتقد بأن الارتباك قد انقضى! كنت اعرف انه سوف يذهب عني منذ ان خرجت هذه الليلة مـــن حجرتي • وعلى فكرة : ان بيت بوتشينكوف على قيد خطوتين مـــن هنا واني ما كنت لاتردد عن الذهاب الى منزل رازوميخين لو ان كان يقطن بعيدا من هنا ••• فليربح رهانه ! ليضحك قليلا وليهزأ مني ! ان القوة ضرورية وبدونها لا يصل المرء الى اي شيء ! ولا يمكن اكتساب القوة الا بالقوة ! ذلك ما يجهله الناس !

كان يحدث نفسه بكبرياء وثقة ! ولم يلبث ان اجتـــاز الجسر بخطى حثيثة • كانت الكبرياء والثقة تنميان في نفسه باطراد دقيقـــة فدقيقة حتى ان كل دقيقة كانت كفيلة بأن تجعل منه انسانـــا آخر ! كان يجهل السبب الذي أدخل هذا التبديل الكلي عـــلى نفسه ؟ كان يـــرى انه يستطيع ان يعيش وان الحياة لا زالت ممكنة بالنسبة اليـــه ـ شأن الغريق الذي يتعلق بالقشة مؤملا بالنجاة ـ كان يرى ان حياته لم تمت بموت العجوز ! فهل كان يتوق الى اتخاذ مثل هذا القرار ؟ يجـــوز ولكنه لم يفكر في ذلك !

تابع يقول بعد قليـــل :

ـ ومع ذلك لقد طلبت الى الطفلة ان تصلي من اجلي ! هه ! انها الصدفة وحدها ! ولما تذكر تلك الطفلة ابتسم رغم ارادته وشعر بصفاء ذهن عميـــق !

عثر على منزل رازوميخين بسهولة في بناء « بوتشكـــوف » اذ كان السكان هناك يعرفون جميعهم المستأجر الجديد وتطوع البواب بأرشاده الى المسكن وكانت الضجة تنبعث فتبلغ منتصف الســـلم مما يدل على ان النقاش كان حامي الوطيس بين عدد كبير من الاشخاص •

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

وكان المفضي الى « بسطة » السلم مفتوحا على مصراعيه فكانت الاصوات تسمع بوضوح كلما زاد المرء دنوا .

كانت غرفة رازوميخين واسعة كبيرة اجتمع فيها عدد من الاشخاص يناهز الخمسة عشر . فلما بلغ راسكولنيكوف المدخل توقف قليلا وراح يراقب خادمتين منصرفتين الى « سماورين » كبيرين وعدد من الزجاجات والاطباق المملوءة بالحلوى والمقبلات ! كانت تلك الاواني كلها مقدمة من قبل صاحبة البناء امعانا منها في اكرام النزيل الجديد ...

استقدم راسكولنيكوف رازوميخين فأقبل هذا مسرعا . كان يبدو عليه انه اسرف في الشراب وانه ـ على الرغم من شهرته في مقاومة تأثيرات الشراب ـ كان في تلك اللحظة واقعا تحت تأثيره ! قال له راسكولنيكوف موجزا :

ـ اسمع ! لقد جئت لاقول لك انك ربحت الرهان وان المرء لا يعرف في الحقيقة ما سيقع له . اما الدخول فلن استطيعه لانني ضعيف جدا واكاد ان اسقط على الارض لذلك اقول لك مرحبا والى اللقاء بآن واحد زرني غدا .

ـ سوف اقودك بنفسي بعد اعترافك بانك ضعيف خائر القوى !

ـ وضيوفك ؟ من هو هذا الرجل ذو الشعر الاجعد الذي ينظر نحونا ؟

ـ من ؟ ذاك ؟ علمه عند الشيطان ! لعله صديق لعمي او لعله دعى نفسه بنفسه . هيا سأترك عمي مع الضيوف ... انه رجل ثمين جدا ... ويؤسفني الا تستطيع التعرف اليه اليوم . ثم ليأخذهم الشيطان جميعا لقد لبثت حتى الآن أعنى بهم ويلزمني الان بعض الهواء!

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

لقد جئت في خيئك لانني كنت سأتعارك معهم بعد دقيقتين ! انهم لا ينطقون الا بالحماقات لن تستطيع ان تتصور مدى قدرة كل منهم على حشو رؤوس سامعيه بالأكاذيب ! بل أعتقد انك تستطيع ان تتصور ذلك لاننا جميعا نكذب احيانا . وبما اننا نكذب نحن فليكذبوا هم أيضا ! خصوصا وأننا لن نكذب « بعدئذ » !... اجلس قليلا سأستدعي لك زوسيموف !

هرع زوسيموف الى راسكولنيكوف بنوع من اللهفة تفضح ما في نفسه من الفضول الخاص غير ان وجهه ما لبث ان عاد طبيعيا مشرقا . وبعد ان فحصه قال له :

ـ ينبغي ان تنام فورا ... ومن الانسب ان تأخذ شيئا هذا المساء ، شيئا هيأته منذ قليل ... « برشامة » .

فقال راسكولنيكوف :

ـ اعطني اثنتين اذا كانتا لازمتين !

وشرب المريض العلاج على الفور بينما قال زوسيموف لرازوميخين :

ـ من الخير ان تصحبه الى حجرته . وسنري ماذا يكون غدا اما اليوم فالامر مشجع لا بأس به . لقد حدث تغيير كلي ! كلما عاش الانسان كلما ازداد علما ! ...

قال رازوميخين لصديقه وهما يخرجان :

أتدري ماذا قال زوسيموف عندما استدعيته منذ حين ؟ لسوف اقوله لك بحذافيره لانهم كلهم سخفاء ! كان زوسيموف يوصيني بالتحدث اليك خلال الطريق لاطلق لسانك واحمل له كل ما تنطق به من عبارات لانه يعتقد ... انه يعتقد انك مجنون او علي الاقل انك

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

على وشك الجنون ! فهل تتصور هذا ؟ اولا انني اعتقد انك اكثر ذكاء منه بثلاث مرات على الاقل ! وثانيا اذا لم تكن مجنونا فليس عليك الا ان تستهزىء بالنزوات التي تعصف في رأسه • ثالثا : ان هذه « الكتلة من اللحم » مختص بالتشريح والجراحة وهو مأفون بالامراض العقلية حتى ان الحديث الذي دار بينك وبين زاميوتوف قد قلبه رأسا على عقب !

ـ هل قص عليك زاميوتوف الحديث كله ؟

ـ كله ! وقد احسن صنعا فقد فهمت كل الاسباب والدوافع في القضية وكذلك فهم زاميوتوف •• والخلاصة يا روديا ••• الواقع هو انني في هذه اللحظة ثمل بعض الشيء لكن لا بأس ! الواقع هو ان الفكرة ••• انت تفهم ! ان تلك الفكرة كانت مغروسة في نفوسهم ••• اتفهم ؟ اي ان احدا ما كان ليجرأ على التصريح بها علانية لان الحماقه فيها شديدة جدا وخصوصا منذ ان اوقفوا ذلك الدهان ••• فقد تبخر ذلك كفقاعة الصابون وتبدد نهائيا • لكن لم هم على مثل هذه الحماقة جميعهم ؟ لقد اغلظت القول قليلا لزاميوتوف ـ وهذا بيننا ايها الصديق أرجو أن لا تتظاهر بمعرفته ـ ! فقد لاحظت ان زاسيموف سريع التأثر والانفعال وقد دار بيننا الحديث الذي نوهت به لك عند لويز ! والان فقد وضح كل شيء ••• ان السبب الرئيسي في هذه الظنون كان ايليا بيتروفيتش ! فقد التقط الكرة « على الطاير » كما يقولون اثر اغمائك في دائرة البوليس ثم عاد وخجل من نفسه بعد ذلك لتفكيره في ذلك الافتراض ، هذا ما علمته !

كان راسكولنيكوف يصغي بشوق لان رازوميخين كان متأثرا بالشراب فراح يفضح ما في نفسه ، فقال مؤيدا اتجاه صديقه :

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ لقد اغمي علي ذلك اليوم لانني كدت ان اختنق بتأثير الحرارة ورائحة الدهـان !

ـ انهم يجدون حتى الآن صعوبة في تفسير تلك البادرة ! والحقيقة انها لم تكن رائحة الدهان وحدها هي السبب ! كانت الحرارة مرتفعة لديك منذ أكثر من شهر كما أكد زوسيموف . آه لو علمت كم أصبح هذا الخبيث زاميتوف متصاغرا الان .. تصور انه قال لي في معرض الحديث عنك . « انني لا ابلغ نقطة في بحره ! » انه لا يقدم شعورا طيبا تختلج به نفسه لكن الدرس ، نعم الذي القيته عليه اليوم في « قصر الكريستال » كان غاية في الكمال ! لقد اخفته بادىء ذي بدء ، أترى هذا ؟ لقد جعلته يرتعش ويرتعد في البداية ! فكر انك جعلته من جديد يؤمن بنظريته الاولى تلك النظرية الخرقاء البشعة ثم فاجأته دون مقدمات « بضربة من قدمك في انفه » وأنت تقول « خذ هذه ايها العجوز ! » انها كانت ضربة معلم ! سحقته وافنته ! لقد وجد اخيرا من يستطيع ان يساجله ويتحداه ! كم آسف لانني لم اكن هناك ! كان ينتظرك عندي بقلق وتلهف ! وبورفير نفسه بشوق زائد للتعرف اليك !

ـ آه ... هذا أيضا ؟.. لكن لم يعتبروني مجنونا ؟

ـ ليس كالمجنون تماما ... أعتقد يا صديقي بانني تحدثت أكثر مما ينبغي ان ما اذهله منذ حين هو ان ذلك الامر وحده يهمك ! والان فقد عرف سبب اهتمامك بعد ان اوضحت كل الملابسات . آه كم كان ذلك يقلقك وبما ان القضية كانت مرتبطة بعد ذلك بمرضك ... انا ثمل قليلا يا عزيزي ... لكن أترى ... يا للشيطان .. ان له رأيه! وانا اكرر عليك بأن الامراض العقلية تشغل اهتمامه الكلي وليس عليك انت الا ان تهزأ بكل هذا !...

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ اسمع يا رازوميخين ! سأحدثك بصراحة ! لقد جئت توا من دار ميت انه موظف مات وقد اعطيت اسرته كل ما املك وعلاوة على ذلك فقد ناقتني مخلوقة ... والخلاصة ان هناك مخلوقا آخر ... فتاة تضع ريشة باون اللهب ... لكنني اهذي ... انا شديد الضعف .. دعني استند اليك ! أليس هذا هو السلم ؟ !

فسأل رازوميخين منزعجا :

ـ ما بك ؟ ماذا بك ؟

ـ ان رأسي تدور قليلا ... لكن هذا ليس كل ما في الامر ! المسألة هي انني حزين « حزين جدا كامرأة ... حقيقة ... انظر ما هذا ... انظر ! انظر » !

ـ مـــاذا ؟

ـ ألا ترى ؟ هناك ضوء في غرفتي يظهر خلال الخصاص !

كانا قد بلغا في تلك اللحظة الى « البسطة » التي تسبق الممشى الذي يقود الى غرفة راسكولنيكوف قرب باب شقة صاحبة البنـــاء وكان يمكن لهما ان يشاهدا من مكانهما النور الذي كان يشع من غرفته . فغمغم رازوميخين :

ـ غريب ! لعلها ناستاسيا !

ـ انها لا تحضر الى غرفتي في مثل هذه الساعة ! وفوق ذلك انها لا شك نائحة منذ زمن ! لكن ... سيان عندي ... الوداع !

ـ ماذا تقول ؟ سارافقك ، سندخل كلانا !

ـ انا اعرف اننا سندخل معا ولكنني اريد ان اصافحك هنا وان افترق عنك هنا .. هيا اعطني يدك .. الوداع !

ـ ما بك يا روديا ؟

ـ لا شيء .. هيا ستكون شاهدا بنفسك !

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

راحا يصعدان السلم وزازوميخين يتخيل ان زوسيموف على حق فيما ذهب اليه ! واعتقد انه « ازعجه بثرثرته » ولما بلغا باب الحجرة تناهى الى سمعهما صوت حديث آتٍ من داخلها فصاح رازوميخين :

ـ من هنا ؟

دفع راسكولنيكوف الباب اولا ففتحه على مصراعيه وتوقف على العتبة وقد سحرته المفاجأة .

كانت امه واخته جالستين في حجرته على « الديوان » المعهود ينتظرانه منذ ساعة ونصف . كانتا قد امضتا كل ذلك الوقت في الانتظار وطرح الاسئلة على نستاسيا التي راحت بدورها تسرد عليهما كل ما عرفته عن راسكولنيكوف ! كانا يسألانها .

ـ لم لم يكن ينتظرنا ؟ هل كان يفكر فينا أقل من تفكره في أي شيء آخر رغم ما بلغه ذلك اليوم عن مجيئهما ؟

فتعود ناستاسيا لتقص عليهما طرفا من معلوماتها التي جمعتها بفضل الصدف فاذا فرغت بدت المرأتان وقد اذهلهما الخوف واستولى عليهما الهلع خصوصا بعد ان عرفتا نبأ فراره اليوم من غرفته دون ان يعرف احد عن وجهته شيئا . فكانتا تهتفان بين الحين والاخر :

ـ ربّاه ! ماذا وقع له ؟ !

بكتا طويلا حزنا والما وقد اصيبتا بجرح بليغ في عواطفهما فلما وقف على الباب في تلك اللحظة انبعثت من حناجر النسوة الثلاث صرخات رغم تفاوت الاسباب الموجبة ! واندفعت الام والاخت نحو « الامل » الوحيد لكنه لبث جامدا في مكانه وكأنه جثة لا روح فيها . لقد صعقته فكرة مفاجئة شديدة الوقع حتى ان ذراعه اصبحت عاجزة

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

عن الحركة . كانت امه واخته تعتصرانه الى صدريهما وتقبلانه بنهم وشغف ، تبكيان وتضحكان . معا ... فتقدم خطوة الى الامام ثم ترنح وسقط على الارض فاقدا الصواب !

تصاعدت الصيحات ونداءات النجدة والزمجرات ! واندفع رازوميخين ــ الذي كان واقفا على المدخل ــ فأخذ المريض بين ذراعيه القويتين ومدده على السرير . وفجأة فتح هذا عينيه بينما قال رازوميخين مطمئنا الام والاخت !

ــ لا تبتئسا ... لا تخشيا ... انه اغماء بسيط ... انها حماقة ! لقد صرح الطبيب منذ قليل ان حاله قد تحسن كثيرا وانه استعاد قواه تماما !... اعطوني قدح ماء ! هاه .. ها قد عاد الى وعيه .. نعم لقد استرد الرشد !

واخذ بيد دونيا بقسوة كادت تحطم معصمها وراح يدعوها الى الانحناء لترى بنفسها ان اخاها قد « عاد اليه صوابه » . وقد شعرت الام والاخت بفضل رازوميخين عليهما فنظرتا اليه نظرات كلها شكر وامتنان وكأنه رسول القدرة الالهية ! كانتا قد علمتا من قبل بواسطة ناستاسيا بمبلغ عناية هذا الفتى برودیا خلال مرضه ..

ــ « ذلك الرجل المبدع ! » كذلك راحت بولشيري الكسروفنا راسكولينكوف تطلق على رازوميخين خلال حديثها الودي مع ابنتها دونيا .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

القسم الثالث

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

استوى راسكولنيكوف جالسا على الديوان واشار بيده الى رازوميخين ليكف عن الاسترسال في تعزية امه واخته والتخفيف عنهما بذلك السيل من العبارات التي ما انفك يوجهها اليهما ومد الى كل منهما يدا اطبق بها على يديهما وراح خلال دقيقة كاملة ينظر اليهما بسكون ويتأملهما دوريا .

روعت الام من نظرة ابنها لانها قرأت فيها ذلك الاحساس المقبض الباعث على أشد الألم ، احساسا يرافقه شيء ثابت ، شيء أقرب الى الجنون ، فراحت تبكي بحرقة بينما كانت الإخت افدوتيا رومانوفنا شاحبة ترتعد يدها في يد أخيها .

قال راسكولنيكوف بصوت متقطع هامس وهو ينظر الى رازوميخين :

ـ عودا الى مسكنكما والى الغد ! غدا كل شيء ... هل وصلتما منذ زمن طويل ؟

فاجابت بولشيري الكسندروفنا :

ـ هذا المساء ... لقد حصل تأخير اعاق القطار ، لكن يا روديا، لن اتركك الان مهما كان السبب ... سأمضي الليلة هنا ... الى جانبك !

فلوح راسكولنيكوف بيده بغضب وقال :

ـ لا تعذبيني !

وهتف رازوميخين :

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ سأبقى بالقرب منه ، لن اتركه دقيقة واحـــدة وليحمـــل الشيطان ضيوفي ! ليصخبوا وليشتموا ما راق لهم ان عمي هنـــاك يرأس الحفـــل !

فقالت بولشيري الكسندروفنا وهي تضغط على يديه بامتنان :

ـ كيف استطيع ان اشكرك ؟

غير ان راسكولنيكوف قاطعها قائلا بشيء من الانفعال :

ـ لا اريـــد ... لا اريد .. لا تزعجوا انفسكـــم .. كفـــى ! اخرجوا !.. لن استطيع الاحتمال اكثر من ذلك .

غمغمت دونيا مروعة :

ـ هيا بنا يا امي الصغيرة ! لنخرج من الحجرة انا نقضي عليه اذا بقينا ، ذلك واضح !

فقالت بولشيري الكسندروفنا باكية :

ـ لكن هل لن يتاح لي ان القي عليه نظرة اطول بعد فواق ثلاث سنـــوات ؟

عاد راسكولنيكوف يقول :

ـ انتظروا ... انكما تقاطعانني بينما الافكار تتزاحـــم في رأسي ... هل رأيتما لوجين ؟

فأجابت بولشيري الكسندروفنا بصوت لم يخل من مسحـــة من الخجـــل !

ـ كلا يا روديا . لكنه يعرف اننا وصلنا ... لقد علمنا يا روديـــا ان بيير بيتروفيتش قد تفضل بزيارتك اليوم !

ـ نعم ! لقد غمرني بهذا الفضل ! دونيا ... لقد صرحت للوجين منذ بضع ساعات بانني سألقي به الى اسفل السلم وطردته شر طردة !

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

هتفت بولشيري الكسندروفنا مرتاعة :

ـ روديا ... ماذا تقول ؟ هل حقيقة .. هل تقول جديا ؟..

ثم توقفت عن متابعة الحديث بعد ان القت نظرة الى دونيا !

كانت آفدوتيا رومانوفنا تنظر الى اخيها محدقة في وجهه تنتظر نتيجة كلامه ! فقد علمت هي كما علمت امها كذلك من ناستاسيا بعضا مما دار بين راسكولنيكوف ولوجين بقدر ما سمحت به معلومات هذه الاخيرة فكانتا غير مصدقتين وامضتا الوقت متلهفتين لسماع التفاصيل وهما تشعران بانفعال عنيف .

تابع راسكولنيكوف حديثه بجهد واضح قائلا :

ـ دونيا ! لا اريد هذا الزواج ! ولهذا عليك انْ تنتهي من لوجين غدا ولننس اسمه نهائيا بعد ذلك !

هتفت بولشيري الكسندروفنا :

ـ ربـــاه !

بينما قالت افدونيا رومانوفنا بصوت منفعل :

ـ أخي ! فكر فيما تقول ...

بيد انها تمالكت نفسها بعدئذ واستوسلت بصوت حانٍ تقول :

ـ انك لست في وضع مناسب الان ... انك متعب !

ـ تعتقدين بانني اهذي أليس كذلك ؟ اعلمي انك مخطئة !... انك تتزوجين لوجين من اجلي ... « بسببي أنا » وأنا لا أقبـل هذه التضحية الرهيبة ... لذلك فلسوف تكتبين اليه غدا تعلمينه بفسخ الخطوبة ... سوف تقرأين لي تلك الرسالة صباحبـا وسينتهـي كـل شيء !

صاحت الفتاة وقد شعرت بجرح في كرامتها .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ لا استطيع عمل ذلك ! ثم باي حق !

غير ان امها استدارت نحوها مقاطعة وقد بان الرعب في عيونها :

ـ دونيا ، انت ايضا تنفعلين ! آه ... لنذهب ذلك اجدى !

وهتف رازوميخين قائلا بصوت المخمور :

ـ انه يهذي والا لما كان سمح لنفسه ... غدا ستنتهي هذه الازمة ... اما اليوم ... ففي الحقيقة انه طرده تماما كما قال ! ولا شك ان الاخر انزعج لهذا التصرف . لقد كان « يخطب » هنا وينشر معلوماته مع ذلك فقد مضى وذنبه بين ساقيه !

فصاحت بولشيري الكسندروفنا :

ـ اذا ... انه صحيح تماما ...

بينما هتفت دونيا بصوت يذوب حنانا :

ـ الى الغد يا اخي ... هيا يا أماه ... الوداع يا روديا !

فكرر هذا قائلا بجهد عنيف :

ـ أتسمعين يا اختاه ! انا لا اهذي ... ان هذا الزواج فضيحة ورذيلة ! واذا كنت نذلا انا فلا ينبغي لك على الاقل ان تكونيه ... يكفي نذل واحد ! لكن مهما بلغت نذالتي فانني ساكف عن اعتبارك أختا لي ... واما أنا واما لوجين ... انسحبي !

فزمجر رازوميخين :

ـ لكنك فقدت صوابك أيها الظالم !

لم يجب راسكولنيكوف ولعله لم يكن يملك القوة على الجواب واستلقى على « الديوان » مستديرا نحو الجدار منهوك القوى ! وراحت افدونيا رومانوفنا تتطلع الى رازوميخين بفضول وعيناها السوداوان تلتمعان حتى ان رازوميخين نفسه ارتعد تحت وطأة تلك النظرة أما بولشيري الكسندروفنا فقد كانت شديدة الاضطراب.

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

فغمغمت تهمس الى رازوميخين قائلة بيأس :

ـ لن استطيع مبارحة المكان لاي سبب في الدنيا ! سأبقى هنا في اي مكان ... اصحب دونيا !

فأجابها بهمس كذلك وقد فقد السيطرة على أعصابه :

ـ نعم ... بينما تفسدين انت الامر كله ! لنخرج على الاقل من الحجرة ...

اضيئي سبيلنا يا ناستاسيا ... ولما أصبحوا على السلم اضاف قائلا بصوت منخفض :

ـ اقسم لك انه كاد منذ حين ان يضربني ويضرب الطبيب فهل تفهمين معنى هذا ؟ الطبيب بالذات ! وقد خرج هذا لكي لا يسبب له انفعالا عنيفا . فلما خرجنا استطاع ـ هو ـ ان يرتدي ثيابه وان يتسلل بينما كنت في شقة صاحبة الدار أراقب ... والان ، لسوف يتسلل هاربا من جديد اذا اثرتماه ولعله سيحاول ان ينزل بنفسه مصيبة !

ـ آه ... ماذا تقول ؟

ـ طبعا ... ثم لا تنسي ان ادفونيا رومانوفنا لا يمكنها أن تبقى وحيدة في بيت من ذلك النوع ! فكرا قليلا في المكان الذي نزلتما فيه ! هل لم يكن ذلك « القذر » مستطيعا حقيقة ان يجد لكما مكنا أفضل ... على كل حال انكما تعرفان بانني ثمل قليلا ولهذا السبب تلفظت بكلمات نابية فلا تلقيا بالا اليها !

فقالت بولشيري الكسندروفنا بالحاح :

ـ سأذهب الى صاحبة المسكن ، اتوسل اليها ان تعطيني انا ودونيا زاوية نمضي فيها ليلتنا هذه . لا أستطيع تركه على هذه

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

الحال ... لا استطيع .

كانوا قد بلغوا شقة صاحب البناء وكانت ناستاسيا تنير لهم الدرجة التالية .. وكان رازوميخين منفعلا جدا ... فقد كان منذ نصف ساعة ، ـ عندما كان يصحب راسكولنيكوف ـ يثرثر كثيرا كما شعر بذلك بنفسه لكنه كان مع ذلك يشعر بطلاقة وبصفاء ذهن رغم كمية الكحول الهائلة التي استهلكها . اما الان فقد كان يشعر بانه غارق في لون من الذهول وكأن ابخرة الكحول راحت تصعد إلى رأسه محدثة تأثيرا مضاعفا . كان واقفا بين السيدتين مطبقا على يد كل منهما ساعيا لاقناعهما بشتى الوسائل والحجج بلغة مدهشة فكان ـ بعد كل كلمة ـ يضغط على يديهما بعنف لعله راجع الى رغبته في مضاعفة اقناعهما او التأثير عليهما . وكان بين الحين والاخر يكاد ان يفترس افدوتيا رومانوفنا بنظراته دون أن يشعر بأي حرج . وكانت السيدتان تخلصان يديهما أحيانا لشدة تألمهما من اطباق تلك القبضة القوية الجبارة على اصابعهما لكنه سرعان ما كان يستعيدهما ليضغط عليهما بشدة اكثر من ذي قبل . ولو انهما طلبتا اليه في تلك اللحظة ان يلقي بنفسه من اعلى السلم ورأسه الى الامام لفعل على الفور دون ان تطرف له عين !

كانت بولشيري الكسندروفنا شديدة القلق على ابنها لكنه لم يفتها برغم ذلك ان تلاحظ ان ذلك « الفتى » يقوم باعمال مستهجنة ويضغط على يديها بقوة تشعرها بالالم ، غير انها لبثت تتغاضى عن هفواته البسيطة تلك ولا تنفك تعتبره « الملاك » الحارس !

اما افدوتيا رومانوفنا فعلى الرغم من انها لم تكن ذات عقلية منطوية وجلة ، فانها كانت مندهشة لتصرف ذلك الشاب بل وخائفة منه كلما التمعت نظرات صديق اخيها هذا لتقف على وجهها ! ولولا

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

الثقة العمياء التي زرعتها ناستاسيا في نفسها عندما تحدثت عنه وعن خدماته لأخيها ، لفرت مذعورة تجذب معها أمها لتنجو منه ! وكانت تعرف انه يتعذر عليها في تلك اللحظة الافلات منه . غير انه لم تمض عشر دقائق حتى وجدت الفتاة نفسها مطمئنة تماما الى هذا « الرجل الرهيب » .

كان رازوميخين يمتاز بموهبة فذة في تعريف نفسه واظهارها على حقيقتها منذ اللحظة الاولى وفي اي موقف كان ، فكان يقوم بذلك التعريف بشكل يجعل الاخرين يدركون فورا نوع الرجل الذي يتعاملون معه . لذلك فقد راح يقول محاولا اقناع بولشيري الكسندروفنا :

ـ محال ان تتضلي بصاحبة البناء انها ستكون حماقة كبرى ! صحيح انك امه ، وانك ام مثالية لكنك اذا بقيت فلسوف تستثيرين غضبه والله يعلم ما سيحدث اسمعي ... سأحدثك عما سأعمل : « ستبقى ناستاسيا في الوقت الحاضر بالقرب منه بينما سأصحبكما الى مسكنكما لانه من غير اللائق ان تبدوا وحدكما في الطريق هنا في بيترسبورج ... هيا ... ثم عندما ارجع من مسكنكما « سأقفز » الى هنا وأعدكما بأنني سأبلغكما خلال ربع ساعة بالجديد من أنبائه . سأقول لكما كيف حاله وهو نائم أو مستيقظ الخ ... وبعدئذ ... استمعا ... بعدئذ سأعود فورا الى منزلي لان لدي بعض المدعوين وكلهم مخمورون وسأصحب زوسيموف ـ وهو الطبيب الذي عني به ـ وهو الان في منزلي وهو ليس ثملا انه لم يثمل قط لانه لا يشرب ! سأعود به الى روديا ومن هناك سنحضر الى مسكنكما ! أي انكما ستتلقيان خلال ساعة واحدة أخبارا عنه وستتلقياها مني أولا ثم من طبيب ، الامر الذي يختلف تماما عن رأيي الشخصي . وانني أقسم لكما

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ان احملكما اليه فورا اذا كانت حالته سيئة . اما اذا كانت حالته مرضية فلسوف تنامان ! وسأقضي الليل كله هنا في الممشى ولن اجعله يشعر بوجودي وسأجعل زوسيموف ينام عند صاحبة البناء ليكون في متناول يدي اذا احتجت اليه ! فمن يكون اكثر نفعا بالنسبة اليه في هذه اللحظة : انت ام الطبيب ؟ من رأيي انه الطبيب ! اذا ... عودا الى مسكنكما ... أما البقاء لدى صاحبة البناء فهو مستحيل.. ولن يكون كذلك بالنسبة الي اما انتما فلا ... وهي لن تقبل ايواءكما لانها ... لانها بلهاء ... وهي غيور تغار من افدونيا رومانوفنا اذا شئت معرفة ذلك ومنك أيضا ... ولكن من افدونيا رومانوفنا بشكل مؤكد . انها مخلوق جامح عنيد كأشد ما يكون الانسان عنادا ... على كل حال انني سخيف انا الاخر ... فلندع كل هذا تعاليا ... هل تثقان بي ؟ قولا هل تثقان بي ؟ نعم ام لا ؟

فقالت افدونيا رومانوفنا :

ـ لنذهب يا اماه ، لسوف يتصرف كما وعد ... لا تنسي انه أعاد أخي الى الحياة من قبل واذا قبل الطبيب حقيقة فليقض ليلة هنا فاننا لن نأمل خيرا من هذا ...

هتف رازوميخين منفعلا من الحماس :

ـ هكذا ... انت .. انت تفهمني [illegible] لنذهب ناستاسيا أصعدي الى أعلى فورا والبثي بالقرب من [illegible] الضوء ... سأعود في غضون ربع ساعة !

لم تمانع بولشيري الكيسندروفنا رغم انها لم تقتنع تماما وهكذا احاط رازوميخين كلا من رفيقتيه بذراعه وراح يجرهما هابطا بهما . بينما كانت الأم تتساءل قلقة :

ـ لقد كان مدبرا وخدوما حقا ولكن هل هو في حال « تساعده

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

على الاستمساك بوعوده ؟ لو حكمنا على المظهر ! ... »

وفجأة عاد رازوميخين يقول وكأنه قرأ افكار الام القلقة :

ـ اني أفهم ما في نفسك ! انك تفكرين بأنني أبدو ثملا ...

كان يمشي بخطى سريعة واسعة حتى ان السيدتين كانتا تلاقيان صعوبة في مجاراته في المشي . غير انه لم يلاحظ ذلك بل راح يتابع حديثه قائلا :

ـ نعم .. انها حماقة ! اقصد انني ثمل كالخنزير ... لكن ليس بفعل الكحول ! نعم ليست الكحول التي اسكرتني ... انني منذ ان رأيتكما « ضرب » ذلك على رأسي . لكن هبا لا تباليا بأقوالي ... انني اهذي ... فأنا لست جديرا بكما ... بل انني في احط درجات الجدارة بالنسبة اليكما !.. لكنني بعد ان اوصلكما الى مسكنكما سأذهب فورا الى « القنال » وسأصب على رأسي دلوين كبيرين من الماء فيذهب كل هذا ! آه لو عرفتما كلاكما كم أحبكما ... لا تضحكا ولا تغضبا مني ! اغضبا من كل الناس الا مني انا ... فأنا صديقه وبالتالي صديقكما .. انني اريد ان اكون صديقكما ... لقد شعرت بذلك شعورا مسبقا ... شعرت به في العام الفائت خلال زمن ما ... كلا ... لم اشعر بشيء شعورا مسبقا ... لقد هبطتما الي من السماء! من المؤكد انني لن انام هذه الليلة مطلقا ... ان هذا « الزوسيموف » كان يخشى منذ قليل ان يكون روديا مجنونا ... ولهذا السبب لا ينبغي اغضابه !

فصرخت الام :

ـ ماذا تقول ؟

وهتفت افدونيا رومانوفنا وقد عصف بها القلق :

ـ هل يعقل ان يكون الطبيب نفسه قد قال ذلك ؟

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ نعم لقد قاله ! ولكنه ليس صحيحا مطلقا . لقد اعطاه دواء ... مسحوقا ... وقد رأيته وفي هذه الاثناء جئتما ! آه كان من الافضل لو لم تصلا اليوم لقد أحسنتما صنعا بمغادرته ولسوف يطمئنكما زوسيموف في غضون ساعة واحدة . انه ليس ثملا مثلي . وكذلك لن أكون ثملا بعد ساعة . ولكن لم حشرت أنفي بكل هذه الشدد ؟ لانهم اجتذبوني بمناقشاتهم ! يا للاوغاد ! وانا الذي كنت قد اقسمت على عدم الدخول في مناقشات ! نعم كانوا يردون على بعضهم الاكاذيب ولو قليل لرحت ضربتهم ... وقد تركت عمي هناك كرئيس ! هل تصدقان ؟ انهم جميعا عديمي الشخصية تماما ! انهم جميعا كالاطفال هدفهم ان يكونوا هم « انفسهم » وان لا يشبهوا واقعهم على اضيق نطاق ممكن ! هذا ما يعتبرونه اقصى درجات « المجهود » وهكذا راح كل منهم يهذي على هواه ...

فقالت بولشيري الكيندروفنا وهي تقاطعه بخجل :

ـ اسمع ! ...

لكن تلك الملاحظة أضاعت انفعاله فهتف بصوت عال :

ـ هم ! ماذا ؟ فيم تفكرين ؟ أتعتقدين انني انفعل واثور لانهم يقصون على بعضهم اقوالا سخيفة فارغة ؟ ابدا ... بل انني احب ان يفعلوا ذلك . ان السخافات الكاذبة هي كل ميزة الانسان على بقية الحيوانات ! لان الانسان يصل الى الحقيقة عن طريق الكذب . فاذا كنت انسانا فذلك لانني اكذب . لم يحدث ان اكتشفت حقيقة واحدة دون أن تكون قد سبقت بالكذب أربع عشرة مرة ! بل مائة واربع عشرة مرة ! وليس في ذلك بالذات ما يشرف لاننا لا نعرف ان نكذب حسب ذكائنا وعقليتنا ! الصقي لي كذبات شريطة ان تكون صادرة عنك تماما فاقبلك ! لان الكذب حسب طابع الانسان واسلوبه اجمل من الحقيقة

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

التي ينفخها فم اجنبي في رؤوسنا ! لاننا في الحالة الأولى نكون رجالا أما في الحالة الثانية فنكون ببغاوات فحسب . ان الحقيقة لا تختفي بل الحياة هي التي تختفي ! ولقد رأينا وشاهدنا كيف يمكن طعن الحياة ! اين نحن الان ؟ كلنا دون استثناء ! اين نحن جميعا فيما يتعلق بالعلوم والثقافة والفكر والعقلية الابداعية والمثل العليا والرغبات التحررية ، والمنطق والتجربة وكل شيء آخر ... اننا لا زلنا نتبع الدروس الاعدادية في المدرسة الابتدائية ! اننا نستأنس ونعجب بالمعارف التي تملأ بها افواهنا ممضوغة خالصة ! أليس كذلك ؟ أليس ما اقوله حقيقة ؟

كان يصيح منفعلا وهو يضغط بشدة على يدي السيدتين حتى ان بولشيري الكسندروفنا المسكينة قالت بحيرة :

ـ آه رباه ... لا ادري !

بينما قالت افدونيا رومانوفنا بلجهة جديه :

ـ نعم انه لكذلك على الرغم من انني لا اوافقك على كل النقاط دون استثناء !

وفجأة صرخت من الالم لبدة ما كان رازوميخين يضغط على يدها وهو يقول في ذهوله :

ـ نعم ؟ تقولين نعم ؟ لكنك انت ... انت ... انت نبع الصلاح ! نبع النقاء والعقل والكمال ... اعطني يدك اعطنيها ... وانت اعطني يدك كذلك ! اريد ان اقبل هاتين اليدين هنا وانا راكع على ركبتي وفي هذه اللحظة !

ثم جثا في منتصف الرصيف الذي كان لحسن الحظ خاليا من الناس في تلك اللحظة .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

صرخت بولشيري الكسندروفنا بانزعاج :

ـ ماذا تعمل ؟ ارجوك دع هذا !

وازدفت دونيا التي تضحك ولكن دون انزعاج :

ـ انهض ... انهض !

ـ لن انهض بأي ثمن الا اذا اعطيتماني يديكما ... هكذا ... تماما . والآن كفى ... لنذهب ؟ أنا سمج تعس غير جدير بكما وثمل ! انني احمر خجلا اذ انني لست جديرا بان احبكما . اما ان انحني امامكما خاضعا فانه واجب علي الا اذا كنت وحشيا حقيقيا . ولذا فقد ركعت وانحنيت ! هذا هو منسكنكما وبسبب هذا وحده ، أعترف بأن روديا كان على صواب تماما حينما طرد صاحبكما بيير بيتروفيتش كيف سمح لنفسه أن يجعلكما تسكنان في منزل كهذا ؟ انها فضيحة ! أتعرفان اي نوع من الناس يأوون الى هنا ؟ مع ذلك فأنت خطيبته ! لانك خطيبته أليس كذلك ؟ اذن سأصرح لك رغم ذلك بان زوجك المقبل ليس الا « قذرا » !

فقالت بولشيري الكسندروفنا محتجة :

ـ اسمع يا سيد رازوميخين ... انك تنسى نفسك ...

فتمالك رازوميخين نفسه وقال :

ـ نعم نعم ... انك على حق ! لقد نسيت نفسي ولكنكما لن تلوماني على ما قلته منذ حين لانني تحدثت اليكما بكل صراحة وليس لانني ... هم ... انها كانت تكون نذالة ، وبالاختصار ليس لانني ... هم ... ليكن .. لن يكون ذلك ولن أقوله لانني لا اجرؤ ، لكنه منذ حين ... لما دخل الى حجرة روديا فهمنا للوهلة الأولى ان هذا الرجل ليس من عالمنا ، ليس لانه دخل علينا برأس خرجت توا من بين يدي الحلاق وليس لانه بادر الى نشر ما يعرف من معلومات

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

بل لانه جاسوس بكل معنى الكلمة ... لانه مدقق ولانه يهـــودي ومشعوذ دعي ، ذلك واضح عليه ، وانتما تعتقدان انه ذكي ، لكنـــه حيوان ، هيا هل حقيقة يمكن ان يكون « صفقة » جديرة بكمـــا ؟ آه رباه ، انظري يا سيدتي ... ان الاصدقاء المدعوين عندي سكـــارى لكنهم شرفاء ، ولقد تحدثنا بكل النزهات والسخـــافات لانني أنا أيضا أحسن التحدث بهذه الاشياء ، لسوف نتوصل يوما الى معرفة الحقيقة لاننا في الطريق القويم ، الامر الذي لا يبدو على بيير بيتروفيتش لانه لا يتبع الطريق القويم ... انني أحب أولئك الذين دعوتهم الليلة الى داري رغم اننا تناقشنا بحدة واغلظت لهم القـــول بعدم ذلـــك ... وزاميوتوف نفسه الذي احبه دون ان اميل اليه لانه حيوان فضولي ، حتى ذلك الوحش زاميوتوف فانني احبه لانه نزيـــه شريف يعرف مهنته .. لكن كفاني كلاما وقد صفح عن كل شيء قيـــل .. أليس صحيحا انكما صفحتما عما قلت ؟ هيا ... لنمشي ...

كانوا قد بلغوا المسكن المعد للسيدتين وراحوا يراقبون الظلام وهو يثرثر . ولما بلغوا أمام باب أحد المساكن هتف :

ـ هنا ... في رقم ثلاثة وقعت فضيحة ! .. لقد جئت من قبـــل الى هذا المكان وانا اعرفه حق المعرفة .. اين تنزلان ؟ .. في المسكن الثامن ؟ حسنا ! اغلقا عليكما الباب بالمفتاح ولا تدعا احدا يدخـــل عليكما ليلا ... سأعود في غضون ربع ساعـــة لاحمل لكما الانباء الجديدة ... وبعد نصف ساعـــة على الاكثر سأعود مرة ثانيـــة مع زوسيموف .. سوف تريان ! الوداع .. ينبغي ان اغادركما !

ولما اصبحتا وحيدتين هتفت بولشيري الكسندروفنا بقلق واضح :

ـ يا الهي يا دونيا ... ماذا سيحدث ؟

فأجابت دونيا وهي تنزع قبعتها ورداءها :

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ لا تقلقي يا اماه ! ان الله نفسه قيض لنا هذا السيد . ثقي بانه يمكن الاعتماد عليه رغم انه ثمل ! وكل ما قاله وعمله من اجل اخي...

ـ آه يا دونيا ! الله يعلم اذا كان سيعود ! كيف قبلت مغادرة روديا ! رباه ! وانني ما كنت انتظر ان اراه على هذا الشكل ... لقد بدا مخيفا ... وكأنه غير راض عن مشاهدتنا ...

وانهمرت دموع المسكينة على خديها !

ـ كلا ! ان الامر ليس كما تتوهمين يا اماه ! انك لم تمعني النظر لانك كنت تبكين ! لقد زعزعه مرض خطير وهذا هو السبب في كل ما حدث !

ـ آه ذلك المرض ! ان في الامر شيئا .. رباه كيف تحدث معك يا دونيا !

كانت الام تنطق بالعبارة الاخيرة وهي تحاول قراءة أفكار ابنتها في عينيها وقد سرت بعض السرور لان دونيا كانت تدافع عن أخيها مما يدل على انها صفحت عما صدر عنه ! واردفت معقبة وهي تحاول بحث الموضوع الى النهاية :

ـ انا واثقة من انه سيبدل رأيه غدا لم

فقاطعتها افدوتيا رومانوفنا بقولها :

ـ بل انني واثقة من انه غدا سيقول ما قاله اليوم ..

قطعت بهذه الجملة على بولشيري الكسندروفنا طريق الخوض في الموضوع الذي كانت تتهيب من الخوض فيه ثم اتجهت نحوها فعانقتها بقوة وعادت تجلس على مقعد منتظرة بقلق عودة رازوميخين! وكانت الام ترقب ابنتها بصمت وقد عقدت ذراعيها منتظرة الاخبار الجديدة . ولم تلبث هذه ان نهضت واقفة وراحت تذرع الغرفة جيئة

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

وذهابا مستغرقة في أفكارها . تلك كانت عادتها كلما كانت تتردد في اتخاذ قرار معين وكانت أمها في مثل تلك المظروف تتجنب ازعاجها وقطع حبل تفكيرها .

كان رازوميخين ولا شك مضحكا في نزوته الطارئة/التي أستبدت به فراح يعبر عنها وهو في حالة السكر ... تلك النزوة التي أحس بها حيال أفدونيا رومانوفنا . لكن من يتأمل في تلك الفتاة وخصوصا في تلك اللحظة وهي عاقدة ذراعيها تتجول حزينة ساهمة في فراغ حجرتها يجد له العذر حتى ولو لم يكن ثملا . كانت افدونيا شخصية جذابة حسنة التكوين طويلة القوام متينة البنية واثقة من نفسها كما كان يبدو من كل حركة من حركاتها الامر الذي كان يزيدها رقة ووداعة . كانت تشبه اخاها في تقاطيع وجهها لكن ذلك ما كان ليمنع ان تكون ذات جمال خارق . كان شعرها كستنائيا كشعر اخيها مع اختلاف طفيف ، وعيناها سوداوان لامعتان مطبوعتان بالكبرياء تنبعث منهما في كثير من الاحيان رقة خارقة ، وكانت شاحبة بغير مرض يعكس وجهها آيات العافية والاشراق . وكان فمها صغيرا وشفتها السفلى بلون احمر صارخ تبرز قليلا مع بروز ذقنها ، وكان ذلك « البروز » الطفيف العيب الوحيد في ذلك الوجه البديع . لكنه كان يضفي عليه لونا من الصرامة والترفع ... وكانت امارات وجهها تدل على الرزانة والتفكير اكثر منها على البشاشة لكن الضحكة التي كانت ترتسم على ذلك الفم الجميل كانت غاية في الجمال لانه فم يليق به الابتسام فاذا ضحكت كانت ضحكة هادئة مرحة طافحة بالحيوية ! فكان منتظرا اذا ان يفقد رازوميخين المتقد حيوية ، الشديد الاخلاص ، رازوميخين البسيط ، النبيل القوي قوة الابطال القدماء . الذي كان ثملا والذي لم يسبق له ان رأى مثل هذا الجمال ، كان منتظرا ان يفقد رجل كهذا عقله ! ثم ان الصدفة شاءت ، وكأن ذلك

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

كان بحسب خطة مرسومة ــ ان تريه دونيا في الوقت الذي كانت فيه تطفح بالحب والفرح للقيا أخيها ولقد وجدها بعد ذلك مرتجفة الشفاه ثائرة لكرامتها ازاء اهانات اخيها فلم يبدل ذلك من الامر شيئا .

وكان صادقا عندما قال ــ بينما كانوا يهبطون من حجرة راسكولنيكوف ــ ان صاحبة منزل ذلك الاخير براسكوفي ايفانوفنا ستغار ليس فقط من افدوتيا رومانوفنا بل كذلك من بولشيري الكسندروفنا نفسها . اذ ان هذه رغم انها كانت قد تجاوزت الثالثة والاربعين من عمرها الا انها كانت تبدو اصغر سنا كما هو الحال عند النساء اللاتي يحتفظن حتى ارذل العمر بصفاء ذهنهن وباحساساتهن وحرارة اجسادهن الطاهرة ! طبعا ... ان المرأة لا يمكنها ان تحافظ على جمالها حتى سن الشيخوخة اذا لم تكن محافظة على ذلك المبدأ الوحيد .

كان شعرها قد اصبح قليلا يغزوه اللون الابيض وقد ارتسمت على اطراف عينيها تجعدات خفيفة وضمر خداها ونحلا تحت وطأة الاحزان والالام اما فيما عدا ذلك فان وجهها لبث جميلا . انه صورة دونيا مضافا اليها عشرون عاما باستثناء بروز الشفة السفلى الذي لم يكن موجودا فيها .

كانت بولشيري الكسندروفنا سيدة حساسة الى حد ما خجول شديد التسامح حتى في حالات النيل من معتقداتها وآرائها ، لكنها كانت ابدا تعرف الحد الذي يجعل شرفها او واجبها او معتقداتها الخاصة التي تؤمن بها بشدة في منجاة من كل اجتراء مهما كانت الظروف والمناسبات .

لم تنقض عشرون دقيقة على ذهاب رازوميخين حتى سمعتا طرقتين خفيفتين على بابهما ... ولما فتحتا الباب وجدتا انه قد عاد ، ابتدرها قائلا بعجلة :

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ لن ادخل لان لا وقت لدي . انه ينام كأسعد السعداء . نوما هادئا وديعا وان شاء الله سينام على هذه الصورة طيلة عشر ساعات ! ان ناستاسيا بالقرب منه وقد افهمتها بان لا تبارحه حتى عودتي سأذهب الان لاقود زوسيموف وسيحدثكما بنفسه عند عودته وبعد ذلك سوف تستلقيان لتأخذا قسطكما من الراحة لانكما مرهقتين بالتعب . انه باد عليكمـا !

ثم غادرهما مسرعا بينما هتفت بولشيري الكسندروفنا بحبور :

يا له من فتى نبيل ! حاذق !

فأجابت افدونيا رومانوفنا بشيء من اللهفة وهي تعود الى تجوالها وسط الغرفـة :

ـ يبدو عليه انه من طبنة ممتازة !

لم تمض ساعة على مجيء رازوميخين حتى علت اصوات خطوات في الممشى وقرع الباب من جديد . كانت السيدتـان تنتظران لانهما بدأتا تثقان بوعود رازوميخين وقد وجدتاه في هذه المرة قد نجح في اصطحاب زوسيموف معه وبدا ان هذا الاخير قد وافق بكل طيبة خاطر على ترك الحفلة ليعود راسكولنيكوف لكنه لم يحضر الى مسكن السيدتيـن بمثل هذه السهولة لولا الحاح رازوميخين وخشية الطبيب منه وهـو على تلك الحال . على انه سرعان ما بدا الارتياح على وجهه بعـد ان لمس بنفسه مبلغ اللهفة التي اعتلجت في نفس السيدتيـن الفاضلتيـن وهما بانتظاره . وقد امضى لديهما عشر دقائق بالضبط استطاع خلالها ان يقنع بولشيري الكسندروفنا ويطيب خاطرها . كانت كلماته تشهد بحسن حال المريض لكنها لم تكن خالية من بعـض الحيطة متسمة بطابع الاهمية الواجب اخفاؤها على اقوال طبيب في السابعة والعشرين من عمره يسأل في حالة خطيرة . لم يلفظ خلال حديثه اية كلمة خارجة

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

عن الموضوع ولم يبدِ أية رغبة في تدعيم علاقات شخصيـــة وثيقة مع السيدتين وعلى الرغم من انه لاحظ عند دخوله حسن افدونيا رومانوفنا الباهر فقد عمل فورا على ان لا يلقى اية عناية اليها لذلك فانه راح يوجه الحديث ــ كل الوقت الذي استغرقتــه الزيــارة ــ الى بولشيــري الكسندروفنا وحدهــا • وكان ذلـــك التصرف يشعره بارتيـــاح داخلي بالغ •

صرح ــ بأن المريض كان ــ في تلك الاثناء بحالة مرضية وان ما يعانيه ــ حسب تشخيصه للمرض ــ ليس فقط من العوامل المرضيـــة المادية التي رافقت جسده خلال الاشهر الاخيرة بل ايضا بسبب عقلي خاص يمكن ايجازه بالقلق الذي ينجم عن افكار معينة • ولما لاحظ ان افدونيا رومانوفنا كانت تستمع اليه باهتمام خاص راح يشرح بتبسط نظريته • ولما سألته بولشيري الكسندروفنا بصوتها القلق الخجـول عما اذا كان ولدها يعاني من حالة معينة من حالات الجنون اجـــاب بضحكة هادئة صريحة بان ذلك يعتبر مبالغا فيه وان المريض تسيطر عليه فكرة خاصة ثابتة تسبب له نوعا من الجنون المتصل بسبب واحد حتى انه راح يدرس هذا الفرع المهم من الطب دراسة خـاصة واضاف بـانه ينبغي الا يغفل عن ان المريض كان حتى ذلك اليـــوم في بحران من الذهول وان وصول اسرته سيخلق في نفسه قوة ويجلب له تسريـــة تسبب شفاءه شريطة ان يجنب اضطرابات جديدة مـــن نوع معيـــن • ثم نهض بعد ذلك وحيا بشكل جمع بين الخطورة والدعـــة ثـــم خرج معربا عن سروره بتلك الزيارة ترافقه الدعوات الصالحة التي غمرتـــه بها السيدتان اعترافا منهما بجميله وقبل ان يغادرهـــا قـــال رازوميخين وهو يتأبط ذراع زوسيموف •

ــ لسوف نتحدث غدا حديثا اطول • اما الان فيجب ان تناما دون

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

تأخير ولسوف امر بكما باكرا لاقدم لكما تقريرا جديدا .

وفي الطريق قال زوسيموف بلهجة بعيدة عن الاطراء الرخيص :

ـ يا لها من فتاة ساحرة تلك الـ « آفدونيا رومانوفنا » .

فزمجر رازوميخين بانفعال وقبض على عنق زوسيموف بشدة وقال :

ـ ساحرة ؟ تقول ساحرة ؟ لو سمحت لنفسك مرة اخرى ان تعيد هذا القول مرة اخرى ... أتفهم ؟ أتفهم ؟ وراح يهزه بقوة وانفعال فهتف زوسيموف يحاول التخلص من يده :

ـ دعني ايها الشيطان الثمل !

ولما تخلص منه راح يحدق في عينيه برهة ثم انفجر ضاحكا ضحكة جنونية ذلك ان رازوميخين كان لا يزال واقفا امامه منفرج الذراعين غارقا في افكاره السوداء وفجأة ادرك حماقة عمله فقال بلهجة كئيبة :

ـ انني حمار بالتأكيد . ولكنك أنت أيضا تبدو حمارا ...

ـ لعمري ! كلا يا صديقي أنا لست حمارا ـ لانني لا أحلم بالحماقات !

CVISION TECHNOLOGIES

وراحا يمشيان دون ان ينفوها بكلمة حتى بلغا مدخل منزل راسكولنيكوف وعندئذ قطع رازوميخين الصمت وقال :

ـ انك رجل ممتاز ولكنك ـ اضافة الى خطيئاتك الكثيرة ـ زير نساء بل ومن أكثرهم نذالة . انك تفكر في قرارة نفسك «بقذارة» تهدهدها وتنميها لانك لا تستطيع ان ترفض لنفسك رغبة وانني ادعو هذا التصرف بالقذارة لانه اصدق وصف له . لقد بلغت من التخنث وحب الجنس مبلغا لا افهم بعده كيف تستطيع على الرغم منه ان تكون طبيبا ممتازا مخلصا . ان كلمة طبيب تسطر بالقلم فتبدو مستلقية على

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

الورق لكنها تنهض ليلا لتعود مريضا ... وارى انك بعد ثلاثة سنوات لن تنهض مطلقا لعيادة مريض . على كل حال ان الامر ليس هذا لقد أردت أن أقول : سوف تمضي ليلتك في مسكن صاحبة البناء ولقد أقنعتها بعد لأي بقبول ايوائك . وبذلك يتاح لك فرصة جديدة لعقد صداقات أمتن ! أليس هذا ما تفكر فيه ؟ كلا يا صديقي لا يوجد ظل من هذا . أليس كذلك ؟

ـ لكنني لم أفكر مطلقا في ذلك .

ـ ستجد هنا يا صديقي تظاهرا بالحشمة ورصانه وخجلا وتعففا مصطنعا ترافقه تنهدات وحسرات ولوعة ! انقذني منها أتوسل اليك! استحلفك بكل شياطين العالم . انها مضياف بشكل عجيب وانك لتؤدي لي خدمة جلى لن انساها لك .

ازداد اغراق زوسموف بالضحك وقال :

ـ حسنا انك لست ثملا ! .. لكن ماذا اعمل ؟ !

ـ ثق انك لست في حاجة الى اعطائها شيئا كثيرا من نفسك ، يكفي أن تقذف في وجهها ببعض الكلمات، أية كلمات تخطر ببالك، يكفي أن تجلس بالقرب منها وأن تتحدث ! ثم لا تنسى انك طبيب. فابدأ مثلا بان تصف لها علاجا معينا واقسم لك على انك لن تندم . ان لديها معزفا صغيرا وانت تعرف انني اغني قليلا وقد غنيت لها اغنية روسية تاريخية تلك التي مطلعها : « انني ابكي بدموع حارة .. » ثم انها تعبد الاغاني التاريخية ولقد بدأنا من هذه النقطة . اما انت فانك عازف بارع ، أستاذ شبيه « روبستين » هيا ثق بانك لن تندم .

ـ لكن ألا تكون قد وعدتها بعض الوعود ؟ وعدا خطيا مثلا ؟ ألم تعدها بالزواج منك ؟

ـ كلا ! ابدا ، لا شيء مطلقا من كل ذلك . انها ليست كما

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

تظن . لقد ظن تشيباروف ...

ـ في هذه الحالة عليك ان تتركها .

ـ ولكن ليس من سبيل الى تركها هكذا .

ـ ولم لا ؟

ـ لانه ليس من سبيل ، هذا كل مـــا في الامر . ان فيهـــا يا عزيزي لونا من الجاذبية .

ـ اذا لم استهويتها ؟

ـ انني لم اقصد استهواءها . بل لعلني وقعت فريسة لها بحماقة اما هي فلا فرق لديها ان اكون انا او ان تكون انت طالما انها تستطيع ان تنعم برفيق بالقرب منها . لست ادري كيـــف اشرح لك ذلـك يا صديقي ! على فكره انت قوي في الرياضيات ولا زلت مهتما بهـذا العلم في الوقت الحاضر . فابدأ اذا شئت بتعليمها قواعـد الحساب المتممة . انا لا امزح اؤكد لك بان سبان لديها ولسوف تراها تتأملـك وتتأوه بحسرة . خذ مثلا انني استبقيتها يومين متتاليين في « مخدع » الأمراء البروسيين ! لانني كنت مرغما على التحدث بأي شيء . أتدري ماذا كانت تعمل خلال هذا الوقت ؟ لقد كانت تذوب وتتحسر ! انمـا تجنب التحدث اليها عن الحب لانها متعففة لدرجة التطرف . يكفي ان تبدو امامها بمظهر الذي لا يطيق الابتعاد عنها وسيكون في ذلك مـا يكفي ! ان مسكنها حاو على شروط الراحة حتى لتظن انك في بيتـك تماما : تقرأ او تجلس او تستلقي او تكتب بل وتستطيع ان تعانقها اذا شئت على ان تبدأ بحكمة .

ـ ولكن ماذا اعمل بها ؟

ـ الحقيقة انني لا اعرف كيف افسر لك الموضوع لكنك سترى بنفسك انكما صنعتما الواحد للاخر . وقد كنت فكرت فيك من قبل

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

لانني اعرف انك تحب الانتهاء من علاقتك بانتهاء زيارتك ولا يزعجك ان تكون هذه النتيجة متأخرة او متقدمة • وهنا يا عزيزي سينطبق مبدأ فراش الريش عليك ! ها ان مصيرك يناديك • ان نهاية العالم بالنسبة اليك ، المرساة ، مرفأ الأمان ، قواعد العالم واستقراره ! انك ستجد الطيور المحمرة والافاويه و « السماور » مساء والخدمة وانت في السرير • ستكون كالميت رغم انك حي ! وبذلك ستضرب عصفورين بحجر ••• ! يا صديقي كم اثرثر ! لقد آن ان تنام اما انا فقد وقع لي من قبل ان امضيت الليل ساهرا لذلك فسأذهب لالقاء نظرة عليه فلا تبتئس ولا تقلق مما كنت اقول لقد كانت حماقات فحسب ! ولك ان أردت ان تصعد معي أو أن تصعد بعدي لتلقي نظرة عليه شريطة ان توقظني حالا اذا لاح لك انه يعاني من الهذيان او الحمى •

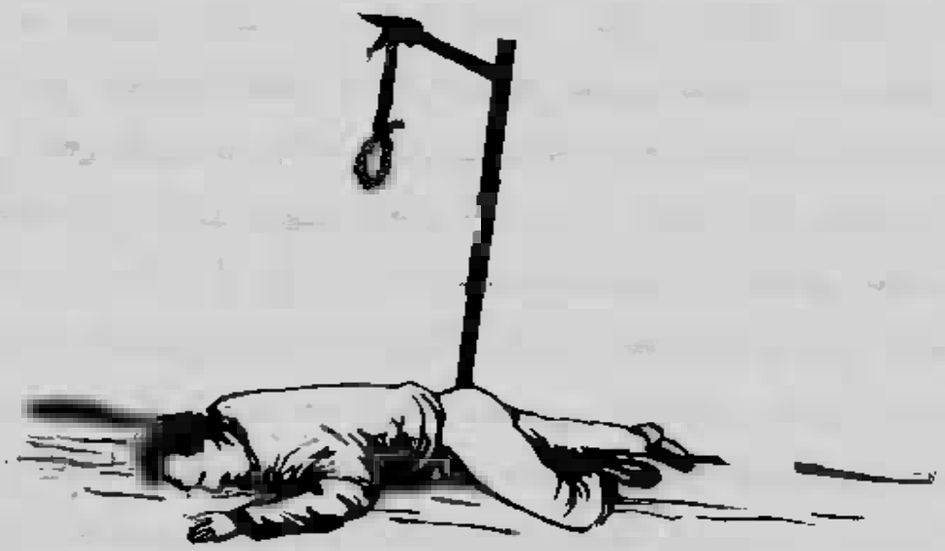

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

٢

استيقظ رازوميخين بعيد الساعة السابعة قلقا كئيبا فقد شعر ذلك الصباح باسباب عديدة تجعله يكتئب دون ان يدرك علة ذلك . لم يكن يتصور ابدا ان يستيقظ يوما على ذلك النحو ! تذكر يوم امس بكل تفاصيله وفهم انه قد وقع له فيه شيء غير طبيعي وانه احس بشعور كان يجهله حتى تلك اللحظة ، شعور لم يكن له مثيل من قبل. كذلك فقد تأكد لديه ان الحلم الذي التمع في خياله لم يكن ممكن التحقيق بل انه كان على أقصى درجة من الاستحالة حتى أن مجرد التفكير فيه كان يبعث الخجل في نفسه لذلك فقد اتجه بفكره وعقله الى الاعمال العادية التي يزاولها كل يوم لينسى ذلك الامس « مضاعف اللعنات » .

كانت تعذبه ذكريات امس وبصورة خاصة تلك الذكرى التي تتعلق بتصرفه حيال تينك السيدتين فاطلق على ذلك التصرف اسم « تصرف الرجل الخشن القذر » ولم تكن سبب تلك التسمية حالة السكر التي كان عليها بل لانه اهان بحماقة وعنف خطيب الفتاة امامها منتهزا الحاجة التي كانت فيها دون أن يعرف طبيعة العلاقات التي تربط بينها وبين ذلك الرجل . وقد سمح لنفسه ان يحكم عليه بذلك الشكل السريع الاحمق دون ان يسأله احد رأيه فهل يمكن لفتاة مثل آدفوتيا رومانوفنا ان تربط مصيرها بمصير رجل غير جدير لمجرد حب الكسب والربح ؟ لا شك انه ليس محروما من المواهب ! اما قضية المسكن المؤثث فأنه لم يكن ولا شك يعرف نوعه خصوصا وانه كان يبحث عن مسكن للسيدتين دون سابق معرفة فحكمه اذا كان بشعا اما حجته التي أراد أن يبرر بها تصرفه والتي تصب اللوم كله على الثمل

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

فانها تزيد موقفه بشاعة ولا شك ـ لان الحقيقة كلها كانت كامنة في الخمر هذه الحقيقة سطعت امامه في تلك اللحظة واضحة جلية لقد اوضحت الخمرة حقيقته وبمعنى ادق « عن قذارة قلبه الغليظ الحسود » .

هل يجوز له ان يفكر بمثل ذلك الحلم ، هو ، رازوميخين ؟ من هو اذا قورن بتلك الفتاة الشابة ؟ او لا يكون ذلك السكير العربيد المتبجح ؟ هل يمكن التفكير في ايجاد تقارب اكثر شذوذا ومفاجأة من هذا ؟

كان رازوميخين يحمر خجلا ويأسا من تلك الفكرة . وتذكر فجأة انه عندما هبط امس مع السيدتين من حجرة راسكولنيكوف قال لهما ان صاحبة المسكن تحبه وتغار من افدونيا رومانوفنا ! فكان مجرد تفكيره بهذه العبارة يقضي عليه قضاء مبرما لذلك فقد راح يضرب بقبضته موقد المطبخ ضربات عنيفة حتى أدمى يديه وحطم قرميده . راح يغمغم وهو فريسة شعور بالخجل :

ـ طبعا . طبعا ليس من وسيلة لمحو هذه الحماقات ولا للتبرؤ منها وعلى ذلك فانه لم يبق لدي مجال للتفكير ... ولسوف امثل بين يديهما دون ان اتفوه بكلمة وسأتقبل كل شيء دون منة وبسكون ولن اعتذر بالطبع لان كل شيء قد ضاع !

مع ذلك فانه لما اخذ يرتدي ملابسه صرف جل عنايته اليها . لم يكن لديه اكثر من ثوب حتى ولو انه كان يملك ثوبا آخر لما ارتداه عامدا . مع ذلك فانه ازاء حالة ثوبه الراهنة لم يكن يستسيغ جرح شعور الاخرين بمظهره الزري خصوصا وان اولئك « الاخرين » كانوا في حاجة اليه وانهم دعوه من تلقاء انفسهم لزيارتهم لذلك فقد مر بالفرشاة على ثيابه بعناية اما القميص فكان غاية في النظافة لان

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

طبيعة رازوميخين كانت تأبى قذارة الجسد .

نهض ذلك الصباح وهو مرتبك واخذ يغسل شعره وعنقه ويديه بقطعة من الصابون انتزعها من ناستاسيا ولما مر بيده على لحيته واحس بها نامية تذكر ان براسكوفي بافلوفنا (صاحبة المنزل) تملك أمواس حلاقة ممتازة احتفظت بها منذ وفاة المرحوم زوجها زارنيستين وانه يستطيع استعمال واحد منها . غير أنه سرعان ما استبعد الفكرة بوحشية وهو يغمغم :

ـ ستبقى لحيتي كما هي لانهما ستفكران بانني ما أزلتها الا ..طبعا ذلك ما سوف تفكران فيه وعلى ذلك فلن ازيلها لاي سبب في الوجود ! خصوصا وانني انا ذلك القذر الخشن الذي تفوح مني رائحة الحانات ولنفترض ... ـ لانني في الواقع اعترف بنبلي كرجل ـ لنفترض ان ذلك النبل هو ما أتغنى به فأنه في الحقيقة ليس جديرا بمثل هذا التفاخر لان كل امرىء يجب ان يكون نبيلا بل يجب ان يكون اكثر من ذلك . ثم ... ألست انا كذلك مصابا بعدد من الخطيئات لا اقول الخطيئات القذرة ولكنها خطيئات وكفى . اذا لا يمكن ان اعاود البحث في الامال خصوصا وانني لا املك شيئا أضعه في الكفة الاخرى لأساوي به افدونيا رومانوفنا ... فيا للشيطان! ان الواقع هو انني سأبقى كما انا قذرا خنزيرا عربيدا ولن ابالي بل لسوف اتصرف تصرفا اسوأ ...

بمثل هذه الاقوال امضى رازوميخين الوقت حتى التقى بزوسيموف الذي كان قد امضى ليلته في مسكن ببراسكولنيكوف في بافلوفنا . لقد جاء هذا يلقي نظرة اخيرة على المريض فأنبأه بانه نائم كحيوان « اللوار » فأوصى زوسيموف ان يُترك في نومه ووعد ان يعود عند الساعة الحادية عشرة تقريبا واضاف :

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ المهم ان اراه في حجرته عندما اعود . انه مؤلم ان لا يكون للطبيب حرية التصرف بالمريض لان شفاءه يصبح معجزة . فترى هل تعرف اذا كان عليه أن يذهب اليهما أو انهما ستأتيان اليه ؟

فأجاب رازوميخين وقد فهم الغاية من هذا السؤال :

ـ لسوف تحضران على ما اظن لانهما ستتحدثان معه عن شؤونهم العائلية ولسوف انسحب انا اما انت فبوصفك طبيبا فان لك ولا شك حقوقا اكثر .

ـ انني لست طبيب الضمائر لذلك فسأحضر واتصرف لانني اكتفي بالعناية بالجسد .

قل رازوميخين متجهما :

ـ هناك قضية تزعجني : لقد ذكرت البارحة وانا في حالة الثمل ... لقد تحدثت بعدد كبير من الحماقات من بينها انك تخاف أن يكون راسكولنيكوف متجها نحو الجنون .

ـ لقد قلت ذلك ايضا للسيدتين مساء البارحة .

ـ انا اعرف انني ارتكبت حماقة كبيرة فاضربني اذا شئت ولكن قل لي هل هذه الفكرة ثابتة في ذهنك ؟

ـ فكرة ثابتة ؟ ويحك ! انك انت بنفسك صورته لي بصورة المتشائم بل بصورة المهووس عندما استدعتني لعيادته اول مرة . والبارحة عملنا على تعكير مزاجه بل لأقل انك انت الذي سبب ذلك بأحاديثك وقصصك المتعلقة بذلك الدهان الذي ألقي عليه القبض متهما بقتل العجوز ... يا له من موضوع مناسب للحديث مع شخص فقد الرشد بسبب مثله ... لو أنني كنت أعرف تماما ما وقع له في دائرة البوليس في ذلك الحين وان احد السفلة وجه اليه اهانة الاشتباه به ... هم ... لما تلفظت البارحة بحديث كالذي سمعته . ان هؤلاء

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

المهووسين يجعلون من النقطة بحرا حتى ان كل الخيالات تبدو لهم حقائق وعلى قدر ما أذكر فقد أتضحت لي نصف القضية من الحديث الذي قصه علي زاميوتوف البارحة ... انني اذكر حالة احد المصابين بهذا المرض وهو رجل في الاربعين من عمره كان لا يستطيع احتمال السخرية التي كان يتفوه فيها طفل في الثامنة من عمره كان معه على المائدة ، فذبحه ! ولدينا هنا تعس بأسمال بالية ينهش المرض جسمه يصاب باهانة من قبل شرطي فظ ثم يصبح هدفا لشكوك مريعة . لذلك فأن هوسا من هذا النوع كان مصدره كرامته المجروحة المهدورة وهذا هو ولا شك محور الالم . وعلى فكرة . انك على حق في ان زاميوتوف شاب لطيف لكنه ، ماذا اقول ؟ لكنه اخطأ في التحدث بمثل ذلك الحديث البارحة . انها ثرثرة مروعة .

ـ ولكن لمن تحدث بها ؟ أليس لي ولك ؟

ـ بل لبورفير ايضا .

ـ وماذا في الامر اذا تحدث به لبورفير ؟

ـ على فكرة هل لك بعض التأثير على الام والاخت؟ انني افضل ان تكونا متحفظتين في الحديث معه اليوم ؟

فاجاب رازوميخين بشيء من التردد :

ـ سيكون كل شيء على ما يرام .

ـ لست ادري ما الذي يحفظه ضد لوجين ، السيد ذي الغنى ! يبدو انه يروق فيعيني الفتاة. خصوصا وانهما لا تمتلكان نقيرا ام لا؟ أليس كذلك ؟

هتف رازوميخين بصوت غاضب منفعل :

ـ هل يهمك هذا الامر ؟ كيف اعرف اذا كانت تملكان نقيرا ام لا ؟ سلهما اذا شئت معرفة ذلك ...

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ كم تبدو سخيفا احيانا ! .. لا شك انك متألم في عواطفك ، الى اللقاء . أشكر عني براسكوفي بافلونا لحسن وفادتها ، لانني القيت عليها تحية الصباح من وراء باب حجرتها اذ انها كانت متحجبة فيها رغم انها كانت مستيقظة منذ الساعة السابعة لكنها لم « تتنازل » بالظهور !...

كانت الساعة التاسعة تماما حين دخل رازوميخين بناء بلكاليف وكانت السيدتان بأنتظاره على أحر من الجمر فقد نهضتا قبل الساعة السابعة ولبثتا بانتظاره قلقتين . دخل عليهما مربد الوجه وحياهما بارتباك . الامر الذي جعله بعد لحظات يلوم نفسه ويتهمها بألف حماقة لانه ما كان ينتظر اللقاء الذي حصل : فقد هرعت اليه بولشيري الكسندروفنا وامسكت بيديه الاثنتين في يديها ولولا قليل لاكبت عليهما تقبلهما بينما نظر ـ هو ـ الى آفدونيا رومانوفنا بخجل وخوف فرأى على ذلك الوجه المعتز علامات من الصداقة والاعتراف بالجميل والاحترام العميق حتى انه ذهل تماما وفوجيء بما لم يكن يتوقعه . كان ينتظر أن يكون هدفا لنظرات السخرية والاشمئزاز الواضحة والتي كان قد اعد نفسه لاحتمالها نظرا لشدة خجله ، غير ان مواضيع الحديث كانت كثيرة حتى انه نسي خجله وحنقه على نفسه وعاد على سجيته .

علمت بولشيري الكسندروفنا من رازوميخين بان ابنها لم ينهض من نومه بعد وان كل شيء كان على ما يرام . فاعربت عن ارتياحها للنبأ لانها كانت في حاجة قصوى ، حاجة ملحة للبحث مع رازوميخين حول هذا الموضوع . وفجأة اثيرت مسألة الافطار وعرف من ذلك ان تينك السيدتين قد انتظرتاه حتى تلك الساعة ليشاركهما الطعام ، ولما قرعت افدونيا رومانوفنا الجرس مثل امامها خادم قذر

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

فأوصته بتحضير الشاي . وكما قدمه كان من القذارة بحيث يثير التقزز حتى ان السيدتين اشمأزتا منه واثار ذلك حفيظة رازوميخين فراح يحتج بشدة على تلك المعاملة في ذلك المسكن المؤثث غير انه لما تذكر لوجين صمت مكرها وشعر بأرتباك حتى أنه تنفس الصعداء حينما هاجمته بولشيري الكسندروفنا بسيل جارف من الاسئلة .

ليث رازوميخين يتحدث ثلاثة ارباع الساعة مجيبا على اسئلة السيدة واستفساراتها ووفق ـ استنادا الى المعلومات التي يعرفها ـ في ان يسرد على امه واخته الوقائع الرئيسية المهمة التي تتعلق بحياة روديون منذ عام مضى . ثم انهى حديثه بسرد تفاصيل مرضه الاخير وغني عن الذكر انه اغفل عامدا عددا من الوقائع التي اعتبرها غير ذات موضوع ومنها حادثة دائرة البوليس واسباب الاستدعاء وما تم بعدئذ . وكانت السيدتان مصغيتين اليه باقبال وتلهف حتى انه عندما انتهى من حديثه اخطأ عندما ظن انهما قد اروى غليلهما لانه بدا عليهما ان استجوابهما له لما يبدأ بعد !

قالت بولشيري الكسندروفنا بلهفة :

ـ قل لي ... ، ماذا تفكر يا ... آه عفوا فلست اعرف اسمك حتى الان !

ـ دميتري بروكوفيتش .

ـ حسنا يا دميتري بروكوفيتش اريد ان اعرف كيف ينظر الان الى الامور بصورة عامة ؟ أقصد ولا حرج أن تفهمني ما العمل لافسر لك السؤال او لاحسن ... ماذا يحب وماذا يكره ؟ هل هو دائما سريع الغضب ؟ ما هي رغائبه بل اذا اردت القول ما هي احلامه اذا امكنني طرح مثل هذا السؤال . ما هو العامل الذي يؤثر عليه تأثيرا خاصا ؟ وباختصار اريد ان اعرف ..

CVISION TECHNOLOGIES
PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

فقاطعتها دونيا ملاحظة :

ـ آه يا امي الصغيرة ، كيف يمكن الجواب على هذه الاسئلة دفعة واحدة ؟

ـ رباه ! ذلك لانني ما كنت انتظر ان اراه على هذه الصورة... كلا ابدا ما كنت انتظر ذلك يا دميتري بروكوفيتش .

فأجاب رازوميخين :

ـ ان ذلك طبيعي ولا شك ! انا شخصيا لم تعد لي ام بل عم يأتي لزيارتي كل عام وفي كل مرة لا يتوصل الى معرفتي حتى ولا معرفة ظواهري ، مع ذلك فهو رجل ذكي . وأنت قد فارقت روديون منذ ثلاث سنوات وقد مرت خلالها مياه كثيرة تحت الجسور ! ماذا اقول لك ! انني أعرف روديون منذ ثمانية عشر شهرا . انه كئيب شرس متعجرف متكبر . ومنذ هذه الايام الاخيرة ـ ولعله من قبل أيضا ـ اصبح كثير الظنون كثير الهواجس . انه كبير النفس طيب القلب . انه لا يحب التصريح بعواطفه واحساساته بل قد يرتكب اية حماقة او أي عمل خبيث اذا كان ينجيه من الافضاء بمشاعره . مع ذلك فانه ليس دائما مهووسا لكنه بارد الطبع عديم الاحساس احيانا لدرجة التجرد عن انسانيته حتى ليقال ان في جسده عقليتين متناقضتين تظهران على التوالي فهو احيانا شديد الصمت والانطواء فترينه يبرم باي شيء يزعج خلوته رغم انه يكون خلال تلك الخلوة متلقيا فقط ولا شيء غير ذلك ! وهو لا يميل للدعابة ليس بسبب افتقاره الى البديهة بل يبدو عليه ان وقته لا يتسع لمثل هذه « الحماقات » هو لا يصغي ابدا الى ما يقال له حتى النهاية . انه احيانا يعزف عن اشياء تبدو شديدة الاهمية بل وتثير اهتمام كل الناس . انه شديد الاعتداد بنفسه واعتقد انه على حق في ذلك الاعتداد . ثم ماذا بعد ؟.. اعتقد ان مجيئكما

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

سوف يكون ذا تأثير ايجابي يسهل شفاءه !

هتفت بولشيري الكسندروفنا التي كانت تشعر بايلام عنيف اثر تلك المعلومات التي راح رازوميخين يسردها على مسامعها .

ـ يا الهي ... ان شاء الله سيشفيه وجودنا !

واخيرا وجد رازوميخين في نفسه الشجاعة لينظر بصراحة الى وجه افدونيا رومانوفنا . كان ينظر اليها خلال حديثه نظرات سريعة خاطفة ثم يرتد طرفه اليه . كانت تجلس حينا الى المائدة مصغية اليه باتتباه ثم تعود حينا آخر الى ذرع الغرفة على جري عادتها وهي عاقدة ذراعيها متقلصة الشفتين ، ملقية بين فينة وفينة سؤالا دون ان تتوقف او ان تنقطع عن التفكير كان من عادتها هي الاخرى ان تصغي الى ما يقال لها حتى النهاية ! ...

كانت مرتدية ثوبا خفيفا وقد عقدت حول عنقها منديلا ابيض من قماش شفاف . وقد اتيح لرازوميخين ان يلحظ ان تينك السيدتين تعيشان في فقر مدقع بدلالة عديد من الشواهد ! ولو ان افدونيا رومانوفنا كانت رافلة بثياب الملكات لما اقلقه ذلك او افزعه اما الان فقد داهم قلبه خوف حقيقي لعل سببه راجع الى أنها كانت مكتئبة ثيابا تدل على فقرها الشديد وانه قد فهم حقيقة حالها . لذلك فقد كان يخاف اتفه عباراته ويهاب اصغر حركاته الامر الذي زاده ارتباكا وهو الذي لم يكن واثقا من نفسه .

قالت افدونيا رومانوفنا باسمة :

ـ لقد اطلعتنا على عدد من التفاصيل المثيرة المتعلقة بعقلية اخي ولقد تحدثت بنزاهة . حسنا ... كنت اظن انك حائر في فهمه !

ثم اضافت بعد شيء من التردد :

ـ اعتقد أنه ينبغي أن تكون حوله امرأة ما ! ...

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ أنا لم أقل ذلك لكن ليس من المستبعد أن تكوني على صواب لو ...

ـ لو ماذا ؟

فأجاب رازوميخين بلهجة حاسمة :

ـ لولا انه لا يحب احدا ولعله لن يحب احدا ابدا .

ـ أيكون عاجزا عن الشعور بالحب ؟

فأجابها فجأة دون تروٍ :

ـ هل تعرفين يا افدونيا رومانوفنا انك تشبهين اخاك شبها مخيفا في كل شيء ؟ غير انه تذكر فجأة ما قاله عن اخيها واحمر وجهه واضطرب بينما لم تتمالك افدونيا رومانوفنا عن الضحك وهي تنظر اليه . وقالت بولشيري الكسندروفنا منزعجة بعض الشيء .

ـ قد تكونا كلاكما مخطئين في حق روديا . انا لا اتكلّم عن الحاضر يا دونيا ... ان ما كتب بيير بيتروفيتش في هذه الرسالة وما اعتبرنا ـ انت وانا ـ انه قد لا يكون حقيقياً لن تستطيع ان تتصوريا « دميتري بروكوفيتش » كم هو غريب او ماذا اقول : مفرط في الشطط ! انني لم استطع أبدا أن أطمئن الى عقليته منذ أن كان في الخامسة عشرة من عمره ولا زلت أعتقد أنه قادر على المغامره بما لا يخطر على بال اي آخر من الناس . لن اذهب بعيدا في البحث ... أتدري انه منذ ثمانية عشر شهرا سبب لي عذابا والما كادا ان يوديا لي عندما قرر الزواج من تلك الامرأة ما اسمها ؟... ابنة تلك الـ : زارنيسين صاحبة البناء الذي يقطن فيه ؟

وسألته افدونيا رومانوفنا :

ـ هل لديك تفاصيل عن هذه القضية ؟

بينما تابعت بولشيري الكسندروفنا تقول :

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ أتعتقد انه كان سيجد من دموعي وتوسلاتي ومرضي بل ولعل قوبلي حافزا يرجعه عن عزمه ؟ وان بؤسنا كان سيؤثر فيه ؟ كان قمينا بتخطي كل العقبات كأهدأ ما يكون المرء . لكن هل من الممكن ان يكون لا يحبنا ؟

فأجاب رازوميخين بتحفظ :

ـ لم يحدثني ابدا بشيء عن هذه القضية . غير انني سمعت نتفا من مدام زارنيستين نفسها التي تعبر كذلك ميالة للصمت وما علمته في الحقيقة من اعتبار الامر على شيء من الغرابة !

فسألنا معا :

ـ حسنا ... ماذا علمت ؟

ـ ان ما علمته ليس مهما . انا اعرف ان السيدة « زارنيستين » كانت غير راضية عن هذا الزواج الذي كان امرا مفروغا منه لولا ان موت الخطيبة وحدد وقف دون تنفيذه ومن جهة اخرى كان يقال ان العروس المنتظرة لم تكن على شيء من الجمال بل انها كانت كما يؤكدون قبيحة وعليلة ومضحكة غريبة لكنها لم تكن عديمة المزايا محرومة من المواهب والا فان ذلك العزم يكون غير مفهوم خصوصا وانها لم تكن تملك بائنة رغم ان « زوريون » ليس ممن يعلقون اهمية على البائنة . اما كيف تم الاتفاق على ذلك الزواج فان من العسير الحكم عليه ...

فقالت « افدونيا رومانوفنا » ملاحظة :

ـ أنا قانعة بأن تلك الفتاة كانت ذات أهلية وميزات !

وأعقبت بولشيري الكسندروفنا مقررة :

ـ ليغفر لي الله . لكنني سررت لموتها دون ان اعرف أيهما كان سيكون اكثر ايلاما للاخر لو تم ذلك الزواج !

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ثم راحت تسأل رازوميخين عن الحادث الذي وقع بين روديا ولوجين امس وكانت لا تفتأ تصوب الى دونيا نظرات خفية ولا تخلو من تحفظ الامر الذي ازعج هذه ازعاجا واضحا .

كان يبدو ان تلك الحادثة تشغل بالها اكثر من كل شيء حتى انها كانت ترعبها وتجعلها تقشعر لهولها . فعاد رازوميخين يسرد عليها القصة بحذافيرها ولكنه اضاف اليها رأيه الشخصي فاتهم راسكولنيكوف بصراحة بأنه أهان بيتروفيتش اهانة مبيتة ولم يلح كثيرا على تبرير فعلته بواقع المرض وقال :

ـ لقد هيأ الامر قبل ان يسقط فريسة المرض !

فقالت بولشيري الكسندروفنا بصوت خافت وقد أدهشها أن يعبر رازوميخين هذا عن رأيه حيال بيير بيتروفيتش بمثل تلك العبارات المتزنة التي يشوبها لون من الاحترام كما ادهش افدونيا رومانوفنا نفسها :

ـ وأنا اظن ذلك ايضا .

ثم اردفت دون ان تستطيع كتم دهشتها :

ـ ذلك اذا هو رأيك عن بيير بيتروفيتش !

فأجاب رازوميخين بلهجة قوية متحمسة :

ـ لا أستطيع أن أكون رأيا آخر عن الزوج المقبل لابنتك . الا انني لا اتحدث بمثل هذا الكلام عن تأدب رخيص بل لانني ... لان ... ماذا اقول ؟ ... يكفي ان افدونيا رومانوفنا قد وقع اختيارها على هذا الرجل ... اذا كنت قد حططت من قيمته امس فلانني كنت ثملا بشكل كريه وكنت كذلك فاقد العقل ... نعم كنت فاقد العقل ... كنت مجنونا تماما واليوم انا في خجل شديد !

واحمر وجهه خجلا وصمت وكذلك كان شأن افدونيا رومانوفنا

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ولكنها لم تقطع حبل الصمت . فقد لبثت صامتة لا تنطق بكلمة واحدة منذ ان بحث في امر لوجين !

وكانت بولشيري الكسندروفنا في حالة من التردد الظاهر بعد ان فقدت سندها حيال قضية لوجين . واخيرا صرحت بعد تردد دون ان تنقطع عن ارسال نظرات مستفسرة الى ابنتها ، بأنها في تلك اللحظة مشغولة الفكر بحادثة هامة جدا وشرعت تقول :

ـ اصغ يا دميتري بروكوفيتش ... سأكون صريحة تماما مع دميتري بروكوفيتش أليس كذلك يا دونيا ؟

فقالت افدوتيا رومانوفنا بلهجة القانعة :

ـ طبعا يا اماه !

فبادرت بولشيري الكسندروفنا تقول وكأن حملا ثقيلا سيزاح عن صدرها بعد اطلاع رازوميخين على احزانها :

ـ هذا هو موجز الامر : لقد تلقينا اليوم في ساعة مبكرة كلمة من بيير بيتروفيتش جوابا على اخطارنا اياه بوصولنا . اعلم انه كان عليه ان يحضر الى المحطة ليستقبلنا كما وعد . لكنه بدلا من حضوره بالذات ارسل لنا خادما ومعه عنوان هذا المسكن ليدلنا على الطريق اما هو ـ بيير بيتروفيتش ـ فقد ابلغنا على لسان الخادم انه سيزورنا اليوم صباحا . وبدلا من مجيئه ، وصلتنا كلمة منه هذا الصباح ... خذ ... من الافضل ان تقرأها بنفسك . ان فيها نقطة تشغل بالي كثيرا ولسوف ترى بنفسك تلك النقطة و ... قل لي بصراحة يا دميتري بروكوفيتش ، انك تعرف عقلية روديا اكثر من اي كان وتستطيع على ذلك ان تسدينا النصح اكثر من اي كان . انني اخطرك بان دونيا قد اتخذت قراراتها منذ اللحظة الاولى لكنني لست ادري الى اي صف يجب ان انحاز وقد كنت انتظرك !

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

فض رازوميخين الرسالة المؤرخة في اليوم السابق وقرأ فيها ما يأتي :

« حضرة السيدة بولشيري الكسندروفنا العزيزة ، لي الشرف بان اعلم حضرتكم بانه على اثر موانع غير متوقعة ، استحال علي الذهاب للقياكم عند هبوطكم المدينة لذلك فقد أرسلت لهذه الغاية رجلا حاذقا وأراني كذلك محروما من شرف زيارتكم صباحا بسبب أعمال مستعجلة تستوجب وجودي في مجلس الشيوخ ولكي لا اقلق خلوتكم العائلية مع ابنكم وخلوة أفدونيا رومانوفنا مع أخيها . وسيكون لي غدا مساء في تمام الساعة الثامنة شرف زيارتكم والمثول لتقديم احترامي وتمنياتي لكم في مسكنكم . وبهذه المناسبة اسمح لنفسي أن أتوجه اليكم برجاء بل واقول برجاء حار وهو ان لا يكون روديون رومانوفيتش حاضرا اجتماعنا المشترك نظرا لانه اهانني بشكل خشن ودون مسببات خلال الزيارة التي قمت بها اليه اثناء مرضه وانه عندي ـ علاوة على ذلك ـ ما اتباحث به معكم حول موضوع معين ارغب معرفة تفسيركم الشخصي له . ولي الشرف بان اخطركم سلفا بانه اذا حصل ـ رغم طلبي ـ وقابلت روديون رومانوفيتش فأنني سأجد نفسي مضطرا للانسحاب فورا وسيكون لكم شأنكم ! انني اكتب هذا تلافيا لاحتمال وجوده لان روديون رومانوفيتش الذي كاد يبدو مريضا عند زيارتي له والذي استعاد صحته بعد ساعتين من ذلك ، يمكنه والحالة هذه ـ طالما انه خرج من حجرته ـ ان يأتي لزيارتكم . ولقد تأكد لي خروجه شخصيا فقد شهدته في مسكن أحد السكارى الذي دهسته خيول عربة فمات على اثر ذلك وقد اعطى ابنة ذلك الثمل ـ وهي فتاة مشهود لها بسوء الاخلاق في كل الاوساط ـ خمسة وعشرين روبلا بحجة دفع تكاليف المأتم الامر الذي ادهشني جدا لعلمي بما كابدتم من عناء حتى جمعتم ذلك المبلغ ... وعلى هذا ، ومع اعرابي عن ميلي

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

الخاص نحو المحترمة افدونيا رومانوفنا ، أرجوكم ان تتقبلوا توكيدات اخلاصي واحترامي العميق .

خادمكم المتواضع
« ب. لوجين »

ولما فرغ من تلاوتها سألته بولشيري الكسندروفنا وهي على وشك البكاء :

ـ ماذا اعمل الان يا دميتري بروكوفيتش ؟ ما العمل ؟ كيف استطيع ان اطلب الى روديا التخلف عن الحضور ؟ لقد كان البارحة يلح بقوة على فسخ الخطوبة وها انه يطلب الي اليوم ان لا استقبل ابني ! ولوف يحضر عامدا اذا بلغه الامر ... فماذا سيحدث عندئذ؟

فاجاب رازوميخين بهدوء :

ـ اعملي بما قررته افدونيا رومانوفنا !

ـ رباه ! انها تقول ... الله اعلم بكل ما تقوله دون ان تفسر لي نواياها ... بحسب قولها انه اجدى ، كلا ليس انه اجدى بل انه ينبغي حتما ان يأتي روديا هذا المساء في الساعة الثامنة وان يلتقيا كلاهما !.. أما انا فلم ارغب في اطلاعه على هذه الرسالة ، كنت افضل ان استعمل اللباقة والاستعانة بك لمنعه عن الحضور . لانه سريع الغضب ... ثم انني لست افهم ماذا يعني بذلك «السكير الميت» ولا ادري عن اية فتاة يبحث ولا كيف اعطى تلك الفتاة كل ماله الذي ...

فأضافت أفدونيا رومانوفنا متممة :

ـ الذى سبب لك تدبيره منتهى العناء يا اماه !

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

فاجاب رازوميخين بصوت حالم !

ـ لم يكن البارحة مثمالكا نفسه ! لو انك علمت « اللعبة » التي شرع فيها البارحة في احد المشارب رغم انه انتهى منهـــا على خير ما يرام ... هم ! ... لقد حدثني مساء البارحة بينما كنـــا عائدين الى داره عن ثمل ميت وعن فتاة ... لكنني لم افهم شيئا من حـــديثه . والحقيقة انني كنت البارحة ...

ـ الأفضل يا أماه أن تذهبي بنفسك اليـــه ! وهنـــاك ستؤكـــد لك سنرى على الفور ماذا ينبغي ان نعمل .

ثم القت نظرة على ساعة ذهبية جميلة ذات ميناء لامع معلقة الى سلسلة دقيقة من الذهب من صنع « فينا » تحيط بعنقها ، وهتفت :

ـ رباه ! لقد أزف الوقت ... انها قد تجاوزت العاشرة .

قدر رازوميخين في سره ان تلك الساعة قد تكون « هديـــة الخطوبة » لانها كانت على تناقض فظيع مع الثياب والزينة !

وهتفت بولتيري الكسندروفنا بروع :

ـ آه ... لقد ازف الوقت ... لقد ازف الوقت ! سوف يظن اننا غاضبتان منذ امس ! اذا وجد اننا لم نصل بعد ! آه يا الهي !

كانت قد اخذت « لفحتها » الطويلة فألقتها على كتفيها ووضعت قبعتها على رأسها متعجلة بينما كانت دونيا تعد نفسها كذلك . كانت قفازاتها القديمة مثقوبة ولاحظ رازوميخين ذلك . غير ان الفقر البين الذي كان يبدو على ثيابها كان يعطيهما طابعا خاصا من الكرامة كمـــا يحدث غالبا لاولئك الذين يعرفون كيف يلبسون الثيـــاب الرخيصة . كان رازوميخين يشمل دونيا بنظرة اعجاب ويحس بالكبريـــاء لمجرد تفكيره في مرافقة تلك الفتاة . كان يفكر : « ان هذه الملكـــة التي

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

اضطرت الى رتق جوربها في سجنها لا تبدو اقل روعة وعظمة منها في اجمل ايام مجدها وتتويجها ! » .

هتفت بولشيري الكسندروفنا :

ـ رباه ... هل كان يخطر لي ببال ابدا ان اتهيب لقاء ولدي وعزيزي الاعز روديا كما اتهيب في هذه اللحظة ؟ انني خائفة يا دميتري بروكوفيتش !

فقالت الفتاة وهي تعانقها :

ـ لا تخشي شيئا يا أماه ! اتكلي عليه ! انني أثق به أنا !

فصاحت المسكينة ملتاعة :

ـ رباه وانا ايضا اثق به مع ذلك فانني لم انم الليل كله !

وخرج ثلاثتهم من المنزل ! وتابعت الام :

ـ اتعرفين يا دونيا انني ما كدت اغمض عيني هذا الصباح حتى حلمت فجأة « بمارت بيتروفنا » كانت مرتدية ثيابا بيضاء من رأسها الى قدميها وقد اقتربت مني واخذت بيدي وراحت تهز رأسها وهي ترمقني بنظرات صارمة كما لو كانت توجه الي لوما ... هل هو فأل خير ؟ آه يا الهي يا دميتري بروكوفيتش انك لا تعرف بعد ان « مارت بيتروفنا » قد ماتت !

ـ كلا ... لم اكن اعرف ذلك ! من هي مارت بيتروفنا ؟

ـ لقد ماتت فجأة ... وتصور ان ...

فقاطعتها دونيا قائلة :

ـ فيما بعد يا اماه ! انه لا يعرف من هي تلك الـ : مارت بيتروفنا!

ـ آه ! انك لا تعرفها ... كنت اظن انك على علم بسياق الامر .. اعذرني يا دميتري بروكوفيتش ان عقلي في هذين اليومين مضطرب تماما ! حقيقة انني اعتبرك ملكا سماويا أرسل لمساعدتنا !

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ولهذا السبب عملت على ان تطلع على كل مشاكلنا ... انني اعتبرك كواحد من الاسرة فلا تنزعج اذا كنت أتكلم هكذا . رباه ! ماذا أصاب يدك اليمنى ؟ انها مجروحة !

فاجاب رازوميخين وهو يشعر بالسعادة تغمره :

ـ نعم ... لقد تسببت لها بهذا الالم !

ـ انني اتحدث بصراحة اكثر من المعتاد حتى ان دونيا تنبهني أحيانا ... لكن يا الهي ... أي جحر هذا يقطن فيه ! هل مستيقظ الان ؟ وهذه الامرأة ، صاحبة مسكنه تعتبر ذلك حجرة ! اسمع ... انك تقول بانه لا يحب الافصاح عن مشاعره ولعلني أزعجه بضعفي وتلهفي . ألا تبين لي يا دميتري بروكوفيتش السبيل الذي اسلكه حيالـه ؟ كيف أعامله ؟ أنت تدري بأنني أسير كالضائعة !

ـ لا تكثري عليه بالاسئلة اذ رأيته يقطب حاجبيه! وعلى الاخص لا تسأليه كثيرا عن صحته ان ذلك يؤذيه !

ـ آه يا دميتري بروكوفيتش ! ان مركز الام عسير جدا ! ها وقد وصلنا الى هذا السلم ... السلم

فقالت دونيا وهي تلاطف امها وفي عينيها بريق يضيء وجهها !

ـ أماه انك شاحبة ، هدئي نفسك يا عزيزتي ... انها لسعادة بالنسبة اليه ان يراك مع ذلك فانك تعذبين نفسك !

وقال رازوميخين :

ـ سأرى اولا اذا كان قد استيقظ !

راحت السيدتان تصعدان بهدوء ورازوميخين في المقدمة حتى اذا بلغوا الممشى الذي تطل عليه شقة صاحبة البناء لاحظتا ان بابها موارب وان عينين سوداويين لامعتين ترقبانهما في الظلام . فلما التقت النظرات ، اغلق الباب بعنف شديد حتى ان بولشيري الكسندروفنا كادت ان تلقي صيحة رعب !

CVISION TECHNOLOGIES
PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

هتف زوسيموف بمرح وهو يرى السيدتين :
ـ انه على ما يرام ... على ما يرام !

كان زوسيموف جالسا في المكان الذي جلس فيه أمس : على ركن الديوان ، بينما كان راسكولنيكوف جالسا على الركن الاخر قبالته، في كامل ثيابه وقد اغتسل ورجل شعره بعناية الامر الذي لم يشرع بمثله منذ زمن بعيد ! وامتلأت الحجرة فجأة فاستطاعت ناستاسيا ان تتسلل في اثر السيدتين فلبثت هناك لتصغي الى الحديث. كان راسكولنيكوف في حالة حسنة اذا قورنت بحالته امس ـ لكنه كان شاحبا جدا تكسو وجهه مسحة من العبوس والشرود حتى يخيل الى من يراد لاول وهلة انه جريح عانى منذ حين ألما جسمانيا عنيفا . كان شعره منتصبا وشفتاه متقلصتين ونظراته ملتهبة . وبدا قليل الكلام عبوسا وكأنه يعتزم مرغما اداء دور أسند اليه ... وكان لون من الاكتئاب يرافق احيانا حركاته فلم يكن ينقصه في حالته تلك الا عصابة تحيط بذراعه أو رباط من « التافتا » على أصبعه ليتم له التشابه مع رجل مصاب « بدحاس » مؤلم جدا او بجرح في يده او اي شيء من هذا القبيل .

أضاء وجهه العبوس الشاحب لحظة لدى دخول أمه واخته فأضاف ذلك الضياء على وجهه مسحة من الالم تركزت في الشرود الكئيب الذي كان يلاحظ بوضوح على محياه ! لكن البريق ما لبث أن خبا فورا وبقي الالم وحده حيث كان . ولاحظ زوسيموف الذي كان يسهر على مريضه بانتباه عظيم لا يستطيعه الا الطبيب الشاب ، ان لوناً من العزم الخفي الشاق ارتسم في عيني المريض لدى دخول أمه

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

واخته وكأنه مقدم على احتمال عذاب جديد ، بدلا من الابتهاج الذي كان ينبغي ان يشعر به عادة في مثل تلك الحال .

كذلك لاحظ اثناء الحديث الذي تبودل بين المريض وذويه ان كل كلمة كانت كفيلة باثارته ونكء جراحه . لكنه دهش بذات الوقت لرؤية مريضه مسيطرا على اعصابه ضابطا عواطفه بينما كان بالامس ـ وهو المريض بالهوس ـ على استعداد طيب للانفعال والغضب لاتفه كلمة !

قال راسكولنيكوف وهو يعانق امه واخته بود ـ الامر الذي تهللت له أسارير بولشيري الكسندروفنا ـ :

ـ نعم ... انني اشعر الان بانني شفيت تقريبا ولست اقول هذا « كأمس » .

ونظر الى رازوميخين وحياه بان ضغط على يده بحرارة قلبية !

شرع زوسيموف يقول وقد ارضاه وصول الزائرين لانه خلال الدقائق العشرة الفائتة استنفذ كل الموضوعات التي يمكنه ان يتحدث بها الى المريض :

ـ لقد دهشت بنفسي عندما وجدته على هذا الحال واذا استمر الامر كذلك اربعة ايام اخرى فسيعود تماما الى سابق عهده كما كان منذ شهر او اثنين او ثلاثه اشهر ايضا . لان هذا المرض الذي يعاني منه ، كان كامنا فيه منذ زمن بعيد !

ثم اضاف مبتسما ابتسامة متحفظه كما لو كان يخشى اثارة المريض :

ـ ألا توافقني على انك ساهمت في زيادة مرضك بخطئك ؟

فأجاب راسكولنيكوف ببرود :

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ يجوز ان يكون كذلك !

وتابع زوسيموف حديثه فقال :

ـ اقول ذلك لان شفاءك حاليا بات الجانب الاوفى منه متوقفا على تصرفك الشخصي . وبما ان الحديث قد اصبح ممكنا معك الان فانني اود ان الفت نظرك الى ضرورة معاينة الاسباب المبدئية او على الاصح الاسباب الموجبة التي سببت حالتك المرضية وعندئذ ستشفى والا فان المرض سيكون باطراد وازدياد ! اما ما هي تلك الاسباب الاولية فذلك ما أجهله لكنك تعرفها تماما . ولا أشك ـ وأنت الذكي ـ في انك لاحظت نفسك ودرست حالتك . وانني اظن بان بداية مرضك تتفق مع خروجك من الجامعة لذلك لا يجب ان تظل دون عمل يشغلك وسيكون للعمل الذي يهدف الى غاية معينة موضوعة شأن بعيد في شفائك .

ـ نعم ... نعم ... انك على حق تماما .. ولسوف اعود بأسرع ما يمكن الى الجامعة وعندئذ يسير كل شيء على ما يرام تماما كما لو كان على عجلات ... !

كان زوسيموف يهدف من وراء القاء ذلك النصح الحكيم الى احداث بعض الاثر في نفس السيدتين . لذلك فانه دهش حينما لاحظ على وجه محدثه عندما رفع بصره اليه لونا من السخرية الواضحة لم يدم الا لحظة ! . اما بولشيري الكسندروفنا فقد راحت تشكر زوسيموف بصوره خاصه على زيارته التي قام بها الى مسكنهما مساء أمس ، فسأل راسكولنيكوف مكتئبا :

ـ هل ذهبت اليكما البارحة ؟ انكما اذا لم تناما رغم سفركما الطويل !

ـ آه يا روديا ... لقد وقع كل ذلك قبل الساعة الثانية واننا

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ دونيا وأنا ـ لا ننام قبل هذه الساعة من كل ليلة .

فأردف راسكولنيكوف وقد عاد فجأة الى عبوسه واطرق برأسه الى الارض :

ـ وأنا أيضا لست أدري كيف أشكرك . لأننا اذا أسقطنا من حسابنا قضية الاجر ـ واسمح لي ان المح الى هذا ـ فانني لست ادري كيف استحق كل هذه العناية من جانبك ... في الحقيقة انني لا افهم بل وانه ليؤلمني ان اجهل سبب هذه العناية لذلك تراني احدثك بصراحة !

فاجاب زوسيموف بابتسامة مغتصبة :

هيا ... لا تثر نفسك ! لك ان تفترض انك اول عميل من عملائي ! ثم ان الطبيب لما يكون في بدء حياته العملية فانه « يدلل » زبائنه الاول وكأنهم ابناؤه بل انه قد يعجب احيانا باحدهم وانا كما تعلم لم تفسدني كثرة الزبائن !

ـ كذلك أتحدث عن هذا ـ واشار برأسه الى رازوميخين ـ رغم انه لم يلق مني الا المشاكل والسباب !

فهتف رازوميخين قائلا :

ـ لعمري انها حماقات جديدة ! ارى انك اليوم ترزح تحت عبء الاحساسات العاطفية !

ولو ان رازوميخين كان اكثر دقة وحذقا لعرف ان صديقه لم يكن ابدا تحت تأثير الاحاسيس العاطفية بل على العكس . غير ان هذه الملاحظة التي غابت عنه لم تفلت من « افدوتيا رومانوفنا » التي ترقب اخاها بقلق !

اردف راسكولنيكوف وكأنه يستظهر درسا حفظه ذلك الصباح:

ـ انني لا اكاد اجرأ على التحدث عنك يا اماه ! لقد فهمت اليوم

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

مبلغ العذاب الذي سببته لك بانتظار عودتي .

ومد يده فجأة الى اخته بسكون دون ان ينطق بحرف واحد . وكانت ابتسامته في تلك اللحظة معبرة عن شعور مخلص . فبادرت دونيا الى يد اخيها الممدودة وضغطت عليها بحرارة وسرور واعتراف بالجميل . كانت تلك المرة الاولى التي توجه بها الى اخته بالحديث منذ تنافرهما امس . فطفح وجه الام بالسعادة وهي ترى ذلك الوفاق الصامت النهائي بين الاخت واخيها .

وهمس رازوميخين وهو ينحرك بعنف على مقعده وكله استعداد للاسترسال :

ـ آه ! هذا ما احبه فيه ! ان لديه من هذه الحركات المؤنسة ... !

بينما كانت الام تناجي نفسها قائلة :

ـ ويا لها من حركة موفقة جميلة ! يا له من تصرف نبيل ! انه بذلك قد وضع بلباقة حدا لسوء التفاهم الذي نشب بينه وبين أخته بتلك اليد التي مدها اليها في هذه اللحظة ! ولقد نظر اليها محدقا ... يا لهما من عينين جميلتين ... بل كم ان وجهه جميل ! انه أفضل من دونيا في مجموع شخصه ! لكن يا الهي ... يا له من ثوب ذلك الذي يرتديه ! انه بشع ... ان اجير اتاناس ايفانوفيتش احسن ثيابا منه ! آه ... كم اتوق الى الارتماء على عنقه وتقبيله والبكاء من الفرح ! لكنني أخاف ... انه مختلف تماما عما عهدته ... رباه ! مع ذلك فهو يتكلم بحنان لكنني خائفة ! رباه لم انا خائفة !

وفجأة هتفت تجيب على ملاحظة ابنها :

ـ آه يا روديا ! لا يمكن ان تتصور حالنا انا ودونيا ! كنا تعيستين ! أما الان وقد انتهى كل شيء وانتهى تماما وعدنا سعداء من جديد فانني استطيع ان احدثك بالخبر ! تصور اننا فور مبارحتنا

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

للحافلة هرعنا الى هنا لنعانقك فاذا بتلك المرأة تخبرنا ـ آه ... هذا أنت ... يا مرحبا يا ناستاسيا ـ اقول فاذا بهذه المرأة تخبرنا بانك كنت مريضا بالحمى الساخنة وانك قد فررت من عناية الطبيب وانت في بحرانك وانهم يبحثون عنك في الشارع وفي كل مكان !.. لن تستطيع تصور ما سبب لنا هذا الخبر ! لقد تصورت فورا موت الملازم الاول بوتانتشيكوف وهو من معارفنا القدماء ومن اصدقاء أبيك. انك لا تذكره يا روديا ! ان ذلك الملازم المسكين كان كذلك مصابا بالحمى الساخنة وكان قد خرج الى الباحة حيث سقط في الجب ولم ينتشل منه الا غداة اليوم التالي . لا شك اننا نبالغ في تصوير خطورة حالتك ! ولقد فكرنا في استدعاء بيير بيتروفيتش باسرع ما يمكن لينجدنا لانك تعرف باننا وحيدتان ... وحيدتان تماما !..

لفظت الام هذه الاقوال بصوت منتحب ضعيف. غير انها تذكرت فجأة ان موضوع بيير بيتروفيتش كان موضوعا خطرا لا يجدر الاسترسال فيه رغم انهم كانوا « جميعا في تلك اللحظة بسعادة تامة » لذلك فقد توقفت فجأة عن متابعة حديثها . بينما غمغم راسكولنيكوف مجيبا وقد علا وجهه الشرود والذهول حتى ان دونيا نظرت اليه بحيرة بالغة .

قال :

ـ نعم ... نعم ... ان ذلك كله لا يدعو للاسف ولا شك ! آه ! ماذا كنت اريد ان اقول كذلك ؟

وابدى مجهودا كبيرا لجمع شتات ذكرياته ثم اضاف :

ـ آه ... نعم ... ارجو يا اماه وانت يا دونيا ان لا يذهب بكما الظن الى انني لم اكن مصمما على زيارتكما اليوم قبل الاخرين فتعتقدان بانني كنت انتظر مجيئكما اولا ..

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

فهتفت بولشيري الكسندروفنا دهشة :

ـ لكن يا روديا ! لم تقول ذلك ؟

بينما راحت دونيا تفكر وتناجي نفسها بقولها : « هل يعتقد انه مرغم على الاجابة على اسئلتنا ؟ انه يتصنع السلام ويطلب الصفح وكأنه يقوم بسخرة او يستذكر درسا .. » !

وعاد راسكولنيكوف يقول :

ـ انني لم اكد استيقظ حتى عزمت على الذهاب اليكما لكن موضوع الثياب اعاقني . لانني كنت قد نسيت ان اطلب الى ناستاسيا البارحة أن تغسل هذا الدم ... ولقد غسلته اليوم ولما أكد انتهي من ارتداء ملابسي .

سألت بولشيري الكسندروفنا مذعورة :

ـ الدم ؟ اي دم ؟

ـ لا شيء يا اماه فلا تقلقي ! ان هذا الدم جاءني البارحة بينما كنت اسير شارد الفكر وانا في بحراني اذ اصطدمت بشخص جريح.. انه موظف!

فقاطعه رازوميخين قائلا :

ـ في بحرانك ؟ ولكنك تتذكر كل شيء !

فاجابه راسكولنيكوف بصوت يتضح فيه القلق :

ـ صحيح انني اذكر كل شيء بأدق تفاصيله . ولكن لم عملت هذا ؟ لم ذهبت الى هناك ؟ لم قلت كذا ؟ انني لا استطيع تفسير السبب بوضوح !

فتدخل زوسيموف وقال :

ـ ان هذه الحالة معروفة تماما . ان هذه التصرفات تنجز عادة

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

يشكل شخصي وبراعة مدهشة أما عن سببها وأما عن مبدئهـا فانه يبدو غريبا ويتوقف على عدد من الاحاسيس المرضية تشبه الحلم !

بينما كان راسكولنيكوف يحدث نفسه قائلا : « انني لمجدود اذ يعتبرونني مجنونا او على وشك الجنون » !

والمحت دونيا وهي تنظر الى الطبيب بشيء من الكآبة :

ـ ألا تكون الحال كذلك بالنسبة للاشخاص المالكين قواهـم وصحتهـم ؟

فأجابهـا :

ـ ان ملاحظتك لا تخلو من الدقة لاننا جميعا تقريبـا نكون غالبا مرضى بعقلنا مع الفارق الباقي بأن المرضى هم أشد مرضـا منا وهذا ما لا يمكن التغاضي عن ملاحظته في هذا الموضوع • ولا يمكن ايجاد رجل واحد موزون تماما الا بين عشرات او مئات الالوف من الرجال• مع ذلك ليس هذا الواحد موجودا دائما •

وازاء كلمة « منحرف العقل » التي تلفظ بها زوسيموف وهـو يثرثر في موضوعه المفضل ، ـ وقد أفلتت منه دون روية ـ اكفهرت الوجوه • وكان راسكولنيكوف جالسا وغارقا في تفكير عميق حتى ليبدو انه لا يلقي بالا الى ما حوله وقد علت شفتيه ابتسامـة غريبة باهتة • كان مستغرقا في مناجاة نفسه !

وهتف رازوميخين مبادرا :

ـ لقد قاطعتك في حديثك••• ماذا وقع لذلك الرجل المدهوس؟

فأجاب راسكولنيكوف وكأنه استفاق من حلم :

ـ ماذا ؟ آه نعم ! لقد ساعدت على نقله الى مسكنه فلوفك بالدم • وعلى فكرة يا اماه ! لقد عملت البارحة أمرا انني لم اكن مالكا لقواي العقلية ! لقد اعطيت البارحة كل المال الـذي

CVISION TECHNOLOGIES
PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

أرسلتيه الي الى زوجته لتنفق على دفنه . ان المرأة المسكينة قد ترملت وهي مصدورة ولها ثلاثة اولاد صغار جياع ولا شيء في منزلهم . ولها ايضا ابنة ... لعلك انت بنفسك كنت ستعطين ذلك المال اليهم لو علمت بالامر ... على كل حال لم يكن لي اي حق في ان اعمل ما عملت وانني اعترف بذلك خصوصا وانني اعرف مبلغ ما احتملت من عناء لتدبير ذلك المبلغ ! اذ انه لكي يساعد المرء آخر ينبغي قبل كل شيء أن يكون له الحق والا : « موتوا أيها الكلاب اذا كنتم غير راضين ! » (١)

ثم ابتسم واضاف :

ـ أليس كذلك يا دونيا ؟

فأجابت هذه بلهجة جدية :

ـ كلا انه ليس كذلك !

فتمتم وهو ينظر اليها بشيء من الضغينة تقريبا وقد ابتسم ابتسامه هادئه :

ـ باه ... ها ها ! انت ايضا ... لديك بعض النوايا .. كان يجب ان أتوقع ذلك .. حسنا ... ان ذلك يرفع من شأنك وذلك افضل ... وعلى هذا انك ستمضين في عزمك الى حد ما .. اذا لم تتخطيه فانت تعيسة واذا تخطيته لعلك تصبحين بالمثل تعيسة !

ثم ثار وقد اسف ان استسلم لانفعاله وعواطفه وقال بلهجة جافة مضطربه :

ـ كنت اريد ان اقول فقط باتني اطلب صفحك يا اماه ...

فقالت الام تغمرها السعادة :

---

(١) ان هذا النص موجود باللغة الفرنسية في النص الروسي .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ دعك من هذا يا روديا أنا واثقة من أن كل ما تعمله ان هو الا افضل ما يعمل !

فأجابها وهو يبتسم ابتسامة باهتة :

ـ لا تكوني مطلقة الثقة بهذا الصدد !

وأعقب ذلك صمت ... كانت المحادثة كلها واضحة الهدف كذلك الحال في ذلك التفاهم الصامت وطلب الصفح . كان الموجودون يشعرون بان المحادثة لم تبلغ هدفها . وكان راسكولنيكوف يخاطب نفسه بقوله : « يعتقد انهم يخافونني حقيقة » وينظر الى امه واخته نظرات مختلسة . والحقيقة ان بولشيري .. الكسندروفنا كلما امعنت في الصمت كلما كانت تبدو أشد خوفا وهلعا وخطرت له فكرة فغمغم يناجي نفسه قائلا : « يمكن القول انني كنت احبهم غيابيا » !

صاحت بولشيري الكسندروفنا وهي تنهض من مكانها بانفعال:

ـ هل تعرف يا روديا ؟ لقد ماتت مارت بيتروفنا !

ـ اية مارت بيتروفنا ؟

ـ آه يا الهي مارت بيتروفنا السيدة سفيدريكايلوف ، لقد حدثتك عنها مطولا في رسالتي الاخيرة !

ـ آه ... آه ... نعم لقد تذكرت .. اذن لقد ماتت !

ثم اضاف بعد ان انتفض فجأة وكأنه استيقظ من غفلته :

ـ صحيح هل يعقل أن تكون ماتت ؟ مِمَ مانت ؟

وشجع فضوله بولشيري الكسندروفنا فقالت مسترسلة :

ـ تصور انها ماتت ميتة مفاجئة ! تماما في ذلك اليوم الذي ارسلت لك فيه رسالتي الاخيرة ... تصور ذلك الرجل المخيف ، انه على ما يبدو كان سبب موتها !

يقال انه كان يضربها بوحشية !

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

فسأل اخته قائلا :

ـ هل كانا يعيشان هكذا ؟

ـ كلا على العكس كان يظهر ازاءها بمظهر الصبور المهذب واحيانا كان كثير التسامح حيال عقلية زوجته • ولقد استمر هذا الحال سبع سنين لعله أخيرا فقد الصبر !

ـ انه اذن لم يكن مخيفا بهذه الصورة طالما إن الامر دام سبع سنين ؟ يبدو يا دونيا انك تعذرينه !

ـ كلا انه شخص كريه بغيض حتى انني لا استطيع أن أتصور مخلوقا اكثر بغضا منه !

نطقت دونيا بهذه الجملة وهي مضطربة ولم تلبث أن قطبت حاجبيها واستغرقت في تفكير عميق ! بينما بادرت بولشيري الكسندروفنا تتمم حديثها قائلة :

ـ لقد وقع لهما ذلك في صبيحة ذلك اليوم وبعده امرت ان تجهز عربتها لتذهب الى المدينة بعد الطعام كما كانت عادتها في مثل تلك الاحوال • ثم تناولت طعامها بشهية زائدة كما قيل !

ـ شهية زائدة بعد « علقة » ساخنة !

انها عادة عندها ! وبعد ان انتهت من طعامها ذهبت فورا لتأخذ حماما كي لا تؤخر رحلتها • انك تلاحظ انها كانت تعنى بنفسها كثيرا بالاغتسال • ان لديهم نبعا من الماء البارد كانوا يغتسلون فيه يوميا • لكنها في ذلك اليوم لم تكد تدخل في الماء حتى صعقت بالسكتة القلبية !

فقال زوسيموف :

ـ ان ذلك لا يدهش مطلقا !

ـ وهل ضربها بعنف ؟

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

فقالت دونيـــا :

ان هذا عديم الاهمية !

وفجأة قال راسكولنيكوف بعد ان تنحنح قليلا وبدا الانفعال على صوتـــه :

ـ هم ! ... ما فائدة نقل مثل هذه الاقاصيص ؟...

فأجابته المسكينة ببساطة :

ـ ذلك لانني يا عزيزي ما كنت اعرف عمَّ اتحدث !

فقال بابتسامة عريضة :

ـ ماذا ؟ هل تخافون مني كلكم ؟ حتى انتم !

فقالت دونيا وهي تنظر في عينيه بصرامة :

ـ الواقع انه كذلك . ان امي كانت وهي تصعد السلم لا تفتـأ ترسم اشارة الصليب لشدة رعبها !

فتقلص وجه الشاب كما لو كان فريسة للتشنجات العصبية بينما تمتمت بولشيري الكسندروفنا باضطراب :

ـ آه .. ماذا تقولين يا دونيا ؟ لا تغضب ارجوك يا روديـا ! لم قلت هذا يا دونيا ؟ آه يا روديا انني وأنا في القطـار في طريقي الى هنا كنت احدث نفسي باننا سنجد اشياء كثيرة نتحدث بها الى بعضنا عندما نلتقي . وكنت شديدة السعادة حتى انني لـم أشعر بمسافـة الطريق ... انني سعيدة الان أيضا ... ألست على حق يـا دونيا ... انني سعيدة يا روديا ومجرد رؤيتك تكفي لكي اكون سعيدة !

فغمغم مضطربا :

ـ كفى يا امـاه !

ودون ان ينظر اليها ضغط على يدها وقال :

ـ سيكون لنا الوقت لنتحدث !

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

لم يكد ينطق بهذه الكلمات حتى شحب لونه واضطرب وشعر من جديد بذلك الاحساس المريع تلك البرودة القاتلة تكتسح نفسه . وقد شعر من جديد بانه نطق منذ حين بكذبة بشعة مخيفة ! ليس لانه لن يجد مستقبلا مجالا للتحدث بصراحة كما قال لانه لن يستطيع أبدا ان «يتكلم» عن أي شيء ومع أي كان! وكان لتأثير هذه الفكرة الاليمة أثر عنيفا حتى أنه كاد أن ينسى نفسه تماما. فنهض من مكانه ومضى نحو الباب دون ان ينظر الى احد ! فهتف رازوميخين وهو يقبض على ذراعه :

ـ ماذا تعمل ؟

فعاد الى مكانه وراح ينظر حوله بسكون ! كان الجميع ينظرون اليه مأخوذين ! هتف فجأة :

ـ آه ... انكم مملون جميعكم ... قولوا لي شيئا ! لم تلبثون هكذا ؟ هيا تحدثوا سوف تتحدث ... لقد اجتمعنا ومع ذلك فلا نقول شيئا ... هيا قولوا شيئا على الاقل ...

فقالت بولشيري الكسندروفنا وهي ترسم اشارة الصليب على صدرها :

ـ حمدا لله ؟ لقد ظننت أن ما حدث البارحة سيتكرر اليوم !

وسألت افدونيا رومانوفنا بشيء من التحفظ :

ـ ماذا بك يا روديا ؟

فأجاب :

ـ لا شيء ... لقد تذكرت حماقة ! ثم انفجر ضاحكا فجأة !

غمغم زوسيموف بعد ان نهض واقفا :

ـ حسنا اذا كانت حماقة فانها أفضل لانني كنت على وشك الافتراض ... وعليه ... انني يجب ان اذهب ولعلني اعود

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

اذا وجدتـــك !

ثم حيا وخرج فقالت بولشيري الكسندروفنا ملاحظة :

ـ يا له من رجل ممتاز !

فأمن راسكولنيكوف على قولها فجأة بلهجة حماسية لم تكن معهودة فيه :

ـ نعم انه رجل كريم ممتاز مثقف مهذب ذكي ! لم اعد اذكر اين قابلته قبل مرضي ... اعتقد بانني قابلته في مكان ما ...

ثم اشار الى رازوميخين واضاف وهو يوجه الحديث الى اخته مبتسما :

ـ وهذا ايضا رجل ممتاز ! هل يروق لك يا دونيا ؟

فأجابت هذه :

ـ جدا .

فاحمر وجه رازوميخين من الخجل وهتف وهو ينهض من مكانه بانفعال :

ـ يواه ! .... يا لله ...

فضحكت بولشيري الكسندروفنا بهدوء بينما انفجر راسكولنيكوف بضحكة صاخبة !

ـ الى اين تذهب يا رازوميخين ؟ ..

ـ انني مشغول انا الاخر !..

ـ بل انك غير مشغول قابق ! الان زوسيموف قد ذهب صار ينبغي لك ان تذهب ؟ كلا لا تذهب ! لكن كم الساعة الان ؟ أهو الظهر ؟.. آه ما اجمل هذه الساعة يا دونيا ! لم انتم صامتون ؟ انني وحدي اتكلم بينكم !

فقالت دونيا مشيرة الى الساعة :

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ انها هديـة من مارت بيتروفنا !
واضافت بولشيري الكسندروفنا :
ـ انهـا ثمينة جـدا !
ـ آه ! آه ! انها اكبر حجما مما ينبغي ان تكون عليه ساعـة جيـدة !

فصرخت دونيا قائلة :
ـ انني احب هذا الشكل !
بينما راح رازوميخين يحدث نفسه وقد استبد به سرور لا يعرف لـه سببـا :
ـ « انها ليست اذن هدية من خطيبها ! »
وألمح راسكولنيكوف قائلا :
ـ كنت اعتقد انها هدية من لوجين !
ـ كلا ... انه لم يقدم بعد أية هدية الى دونيا !

وقال لامه فجأة بصوت ينم عن الالم والعذاب حتى انها تأثرت للهجته تأثيرا كبيرا :
ـ آه أتذكرين يا اماه انني كنت عاشقا أنـا الاخر وانني كنت سأتـزوج !

فقالت بولشيري الكسندروفنا وهي تتبـادل نظرة مع دونيـا ورازوميخين :
ـ آه يا صديقي ! نعم اذكر !
ـ هم ! ... نعم لكن ماذا كنت اقص عليكم ؟ انني لا اذكر حتى هذا ... ثم استعاد لهجته الحالمة وتابع وهـو مطرق الرأس بعينيه المتـألمتين :
ـ كانت فتاة فريسة المرض تحب الاحسـان الى المعـوزين ولا

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

تفكر الا في الدير ! وذات يوم انخرطت في البكاء وهي تتحدث عن هذه الاشياء ! نعم . نعم ... انني اذكر ذلك انني اذكر تماما ... لقد كانت تميل في شكلها الى القباحة . ولست ادري حقيقة لم تعلقت بها في ذلك الحين واظن ان بسبب مرضها الدائم . حتى انني اعتقد بأنني كنت سأزداد حبا لها ولو انها كانت عرجاء أو محدودبة الظهر ... ثم ابتسم ابتسامة ساهمة وأردف :

ـ ان هذا يشبه هذيان الربيع ...

فقالت دونيا بانفعال :

كلا ... ان ذلك لم يكن يشبه هذيان الربيع فحسب ...

فنظر باتتباه الى اخته متضايقا .. لكنه لم يسمع كلماتها او انه لم يفهمها ... ثم نهض وهو في اعمق الشرود واقترب من امه فعانقها وعاد الى جلسته !

قالت بولشيري الكسندروفنا بحنان !

ـ انك لا زلت تحبها الى الان !

ـ من ؟ الان ؟ آه نعم ... انك تتحدثين عنها ! كلا ! كل شيء قد غدا الان في العالم الآخر بالنسبة الي ... انه شيء عريق في القدم! وكل ما يحيط بي يبدو وكأنه يقع في مكان آخر غير هذا المكان !

ونظر اليهم باتتباه شديد وقال مسترسلا :

ـ خذي مثلا ... انت ! انني انظر اليك كما لو كنت على بعد الف مرحلة ! لكن الشيطان يعرف لم تتحدث عن كل هذا ! ...

ثم اضاف بشيء من التحدي :

ـ لكن لم تسألينني ؟ ...

وصمت فجأة وراح يقرض أظافره بأسنانه وقد استغرق في تأملاته من جديد !

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

قالت بولشيري الكسندروفنا لتقطع الصمت الذي ران عليهم :

ـ يا له من مسكن لعين يا روديا ! قبر حقيقي ! أنا واثقة من ان نظيرك يدين بنصف مسبباته الى هذا المسكن !

فعاد يقول بشرود :

ـ مسكني ؟ آه نعم انه لذو اثر بعيد فيما تذكرين ! ولقد فكرت بذلك بنفسي لكنك لو تعلمين قد اعربت عن فكرة غريبة جدا يا اماه !

قال ذلك وهو يتصنع ضحكة غريبة . كاد لو لا قليل ان يشعر بان هذا الاجتماع وهاتين القريبتين يراهما بعد فراق ثلاث سنوات واللهجة البنوية التي تصطبغ بها هذه المحادثة لعدم وجود حديث عام يتلهون به ، كاد ان يشعر بأن هذا كله بات لا يحتمل . لكنه كان يعرف ان هناك امرا مستعجلا ينبغي ان ينتهي منه بشكل من الاشكال ! لقد فكر في الامر واتخذ اهبته منذ الصباح عندما استيقظ وقد ابتهج لان تلك « القضية » قد خطرت على باله فبدت وكأنها وسيلة صالحة للافلات من هذا الجو الثقيل !

قال مبتدئا حديثه بلهجة خافتة صارمة :

ـ اليك الامر الذي أفكر فيه يا دونيا ! بالطبع انني أعتذر اليك عما وقع البارحة لكنني اعتقد ان من واجبي ان اذكرك بانني لن ابدل خطة مسيري في صددها . فأما انا واما لوجين . انني قد اكون انسانا مكروها بغيضا لكنك لا ينبغي ان تكوني كذلك . يكفي انسان واحد من هذا القبيل ! فاذا تزوجت من لوجين فانني سأكف على الفور عن اعتبارك اختي !

هتفت بولشيري الكسندروفنا بصوت يائس كئيب :

ـ روديا ! روديا ! ها قد عدنا الى فصل البارحة بالذات ! لم تصف نفسك دائما بالشخص البغيض الكريه ؟ لا استطيع احتمال ذلك ...

CVISION TECHNOLOGIES
PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

البارحة ايضا تصرفت على هذا النحو ! ..

وقالت دونيا بلهجة ثابتة رصينة وصوت ليس اقل جفاء من صوت اخيها :

ـ اخي ! ان كل هذه مرده خطيئة من قبلك ! وقد فكرت في الامر البارحة واكتشفت موضع الخطأ ! ان كل ذلك مبعثه انك تعتقد ـ على ما يبدو لي ـ بانني اضحي بنفسي في سبيل شخص ما ، والأمر عكس ذلك تماما فأنا أتزوج بكل بساطة لانني لا استطيع العيش وحيدة دون عناء كبير وانه من البديهي ان اكون اذا استطعت ان اكون بعد ذلك مفيدة لذوي لكن قراري لم يكن قائما علي هذا السبب ومن اجله !

غمغم راسكولنيكوف يحدث نفسه : « انها تكذب ! يا للمتكبرة! انها لا تريد الاعتراف بانها تقوم بدور المحسنة في هذه القضية ! آه من العقليات المنحطة انها تحب كما لو كانت تكره ! كم اشمئز من هذه العقليات وامقتها ! »

واسترسلت دونيا تقول :

ـ وباختصار انني أتزوج بيير بيتروفيتش لانني أفضل أخف الضررين !

وانا على استعداد لتنفيذ كل ما ينتظره مني بكل امانة لذلك فانني لا اخدعه !

لم تضحك ؟

كان وجه دونيا قد اصطبغ بلون الاقحوان وكانت عيناها تلتمعان من الغضب .

سأل راسكولنيكوف وهو يضحك ضحكة مسمومة :

ـ اذن ، ستنفذين كل شيء !

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ الى حد ما ! ان الطريقة والاسلوب الذي تبعهما بيير بيتروفيتش لخطوبته دلتاني على ما يريد ! صحيح انه يقدر نفسه تقـــديرا كبيرا لكنني اعتقد بانه سوف يقدرني كذلك ... لماذا تضحك ايضا ؟

ـ وانت لماذا تتلونين من جديد ؟ انت تكذبين يا اختـــاه ، انك تكذبين حسب خطة مرسومة ولمجرد عناد نسائي ! انك ترتبين الاشياء أمامي على طريقتك . انك لن تستطيعي الميل الى لوجين . لقـد رأيته وتحدثت اليه وعلى ذلك فانك تبيعين نفسك لقاء بعض المـــال واذن فانك تتصرفين تصرفا مرذولا وانه ليسعدني ان تكـوني على الاقـل لا زلت تحسنين الاحمرار من الخجل .

صاحت دونيا بانفعال غاضبة :

ـ ان هذا غير صحيح ، انني لا اكذب ! لن اتزوجـــه قبل ان اقتنع بانه يقدرني ويتمسك بي . لن اتزوجه قبل ان اتأكد بجلاء بانني استطيع ان اميل اليه ولحسن الحظ لسوف استطيع قطع الشك باليقين اليوم بالذات . ان هذا الزواج ليس فضيحة كما تدعي ولكن لنفرض جدلا انك على صواب وانني كنت مصممة على ارتكاب مثل هذه الفضيحـة الا تكون قسوة من قبلك اذ تحدثني بهذا الشكل ؟ لـــم تتطلب مني بطولة ، لعلك لا تستطيع القيام بمثلها ان هذا لاستبداد انـه لقسوة . وانني اذا كنت اسبب تعاسة لكائن ما فانني ساكون انا ذلك الكائن . انني لم اقتل انسانا بعد ... ما بك تنظر الي ؟ لماذا اشتـد شحوبك الى هذا الحد ؟ روديا ماذا بك ؟ روديا عزيزي ؟ ..

صرخت بولشيري الكسندروفنا :

ـ رباه ! لقد دفعت به الى اقصى الاحتمال ... الى الاغماء .

ـ كلا كلا ... يا للحماقة ... انه لا شيء .. لقـــد شعرت بدوار بسيط في رأسي انه ليس اغماء . انكـــم لا تفكرون الا في

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

الاغماءات ... هم ! نعم ... ماذا كنت اريد ان اقول ؟ نعم : كيف تستطيعين قطع الشك اليوم ومعرفة ما اذا كنت ستحبينه وكان ... سيحبك . أليس هذا ما كنت تتحدثين به ؟ لقد قلت على ما اظن اليوم ام تراني اسأت السمع ؟ .

فقالت دونيا :

ـ اعطيه كتاب بيير بيتروفيتش يا اماه .

مدت بولشيري الكسندروفنا الرسالة الى ابنها بيد مرتعشة فأخذها بفضول زائد لكنه قبل ان يفضها حملق في وجه دونيا بدهشة وقال ببطء كمن خطرت بباله فكرة جديدة :

ـ غريب انني اتساءل لم افعل ! لم كل هذا الاحتجاج ! تزوجي بمن تشائين .

نطق بهذه الكلمات وكأنه يخاطب نفسه غير انه تفوه بها بصوت مرتفع حتى انه استمر لحظة طويلة ينظر الى اخته مرتبكا . واخيرا فض الرسالة وعلى وجهه مسحة من الدهشة والاستغراب وراح يقرأها بعناية ويعيد تلاوتها وكانت بولشيري الكسندروفنا في قلق مقيم حتى ان جميع الحاضرين كانوا يتوقعون انفجارا مفاجئا . وبعد لحظة تأمل شرع راسكولنيكوف يقول وهو يعيد الرسالة الى امه :

ـ انه مدهش ! انه محام وله عملاؤه وحديثه نفسه على شيء من التصنع مع ذلك فانه يكتب كالأميين !

فسرت همهمة عامة واستغراب لأن أحدا لم يكن يتوقع هذا منه . واعترض رازوميخين بلهجة حاسمة يقول :

ـ انهم جميعا يكتبون على هذا المنوال !

ـ هل قرأت الرسالة ؟

ـ نعم !

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

فقالت بولشيري الكسندروفنا مفسرة وقد علا وجهها الخجل :

ـ لقد اطلعناه عليها يا روديا ... لقد ... سألنـــاه النصـح منذ قليـل ..

فقاطعها رازوميخين قائلا :

ـ انه انشاء قضائي ! هكـذا يحررون حتى الان المعامـــلات القضـــائية !

ـ نعم قضائي ! قضائي بالضبط . انشاء رجال القانون ! انه ليس انشاء الاميين تماما لكنه ليس كذلك انشاء ادبيا ، انـه كتابة رجـل اعمـــال !

فقالت افدونيا رومانوفنا ملاحظة قد آلمتها لهجة اخيها في الحديث:

ـ ان بيير بيتروفيتش لا يخفي انه تلقى ثقافة قليلة بل انه يفخر لانه شق طريقه لوحده .

ـ حسنا انه اذا كان فخورا فلا شك ان هناك ما يستحق الافتخار وانا لا اقول العكس ! لقد غضبت على ما يبدو يا اختـــاه لانني لم استخلص من هذه الرسالة كلها الا ملاحظة طائشة وتعتقـــدين بانني اتعمد التحدث بهذه السخافات لايلامك الا فاعلمي بانه على العكس ! فقد بدت لي هذه الملاحظة المتعلقة بالاسلوب واعتقد ان هذه الملاحظة ليست غير ذات موضوع في وضعنا الحاضر . لان هنـاك العبـارة : « وسيكون لكم شأنكم » الواردة في هذا الكتاب والتي تعتبر غنيـة جدا بالمعاني والوضوح . ثم هناك التهديد بانسحابه فورا اذا انا جئت. ان هذا التهديد بالذهاب يعادل التهديد بهجركم فورا رغم انه هـــو الذي استدعاكما الى بيتروسبورج . فماذا تقولين ؟ هل لهذه العبارة المهينة الصادرة عن لوجين وقع مماثل لو انها صـدرت مثـلا عن هذا (واشار الى رازوميخين) أو عن زوسيموف او عن اي كان منا ؟

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

فاجابت دونيا بانفعال :

ـ كلا . لقد فهمت تماما بان تلك العبارة انما صدرت عن حسن نية وسذاجه فحسب . ولعله سيد قلمه ! لقد كان تحليلك لاسلوبه صحيحا بل وانني لم اكن اتوقع ...

ـ ان التعبير راجع الى الاسلوب لانه في الاسلوب القضائي لا يستطاع التعبير بشكل آخر . ولعله كان اكثر خشونة مما اراد ان يكون . مع ذلك أظن انني سأخيب أملك قليلا : ان في هذه الرسالة تعبيرا آخر ، هجاء بحقي ، هجاء وضيعا ! لقد اعطيت البارحة مالا الى ارملة مسلولة رازحة تحت وقر الفاقة لنفقات الدفن وليس « بحجة نفقات الدفن » واعطيته الى الارملة وليس « في يد الفتاة » التي قال عنها انها « ذات سلوك شائن معروف » . لقد رأيت تلك الفتاة البارحة لاول مرة ! انني ارى في كل هذا حاجة ملحة الى تشويه مركزي وغمري بالشوائب امامكما . كل هذا معبر عنه بذلك الاسلوب القضائي أي انه يفضح بصراحة نواياه ويؤيد لونا من التهافت الساذج! انه رجل ذكي لكنه لا يكفي ان يكون المرء ذكيا ليتصرف بذكاء . ان ما أقول يرسم حقيقة الرجل ! ولا أعتقد انه يقدرك كثيرا انني اقول لك ذلك في مصلحتك فقط لأنني أتمنى لك كل خير ! ..

لم تجب دونيا ، فقد كانت متخذة قرارها منذ الصباح ولا تنتظر الا حلول المساء . أما بولشيري الكسندروفنا فقد سألت ابنها بلهجة زادت كآبتها . اللهجة « العملية » التي طغت على الحديث :

ـ اذن يا روديا ؟ ماذا قررت ؟

ـ ماذا تقصدين بكلمة « ماذا قررت » ! ؟

ـ انت ترى ان بيير بيتروفيتش يطلب ان لا تكون حاضرا عندنا هذا المساء وانه قال بانه سينسحب اذا جئت . وعلى هذا فهل ...

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ستحضر ؟

ـ لا شك انه ليس لي ان اقرر مثل هذا الامر . ان القرار لكما في الدرجة الاولى فاذا كان مطلب بيير بيتروفيتش لا يسيء اليكما وبالدرجة الثانية لا يسيء الى دونيا فلكما شأنكما . وأنا سأتصرف **كما يروق لكما !**

كانت لهجته مشوبة بالجفاء . لذلك بادرت بولشيري الكسندروفنا الى القول :

ـ لقد قررت دونيا وأنا أؤيدها تماما في قرارها ...

وقالت دونيا :

ـ لقد قررت أن أرجوك بالحاح أن تكون حاضرا عندنا هذا المساء في الموعد المحدد من قبله . فهل ستحضر ؟

ـ سأحضر !

ثم استدارت الى رازوميخين وقالت :

ـ وانت ايضا . انني ارجوك ان تحضر الينا في الساعة الثامنة ... اما انني ادعوه بالمثل !

فاضافت بولشيري الكسندروفنا :

ـ بديع ! يا دونيا . هيا ليكن كما قررت ! وسيكون في ذلك راحة لي لانني لا احب الكذب والخداع . الخير لنا ان نقول الحقيقة كلها ... فاغضب اذا شئت الان يا بيير بيتروفيتش !

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

٤

في تلك اللحظة فتح الباب بهدوء ودخلت الحجرة فتاة راحت تجيل الطرف حولها بوجل . فالتفتوا جميعا نحوها بدهشة وفضول. لم يعرفها راسكولنيكوف اول الامر . كانت تلك الفتاة هي صوفي سيميونوفنا مارميلادوف . كان قد رآها أمس للمرة الاولى ولكن في لحظة ووسط وثياب معينة حتى انطبعت في خاطره صورة عنها تختلف عما رآها عليه في تلك اللحظة. فقد رأى أمامه فتاة مرتدية ثيابا متواضعة بل فقيرة تبدو صغيرة السن تماما وكأنها طفلة ذات حركات متحفظة مناسبة ووجه بشوش تبدو عليه امارات فزع خفيف . كانت مرتدية ثوبا بسيطا صغير يصلح لكل المناسبات ، وقبعة فات وقتها وفي يديها ـ كالامس ـ مظلتها . ولما وجدت الغرفة مليئة بالناس زاد ارتباكها حتى بلغ مرتبة الخجل فاطرقت برأسها وحاولت كذلك ان تنسحب !

هتفت راسكولنيكوف والدهشة البالغة مرتسمة على وجهه :

ـ آه ... أهذا انت !

وفجأة ارتبك هو الاخر . راح يفكر في تلك اللحظة في ان امه واخته ـ بسبب رسالة لوجين ـ كانتا تعرفان وجود فتاة معينة « سمعتها الفاسدة مرموقة علنا » وقد كان منذ حين يحتج على افتراءات لوجين ويصرح بانه شاهد تلك الفتاة للمرة الاولى في ذلك المساء وها هي ذي قد وصلت الى مسكنه وحيدة ، وتذكر كذلك بانه لم يستنكر عبارة « ذات سلوك سيء مشهود » ! مرت كل هذه الافكار في رأسه كلمحة خاطفة وبشكل غامض . لكنه لما تأملها بانتباه وجد انها فتاة مسكينة مذعورة لدرجة شعر معها بالاشفاق عليها رآها تحاول

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

الانسحاب وشعر فجـأة بما يقلقه فهتف يقول بعد أن القى عليهـا نظرة اوقفتهـا :

ـ لم اكن انتظرك مطلقا ... ارجو ان تتلطفي بالجلوس . انك تأتين ولا شك من جانب كاترين ايفانوفنا ... العفو ... ليس هنـا بل هنا ... اجلسي هنا .

كان رازوميخين عندما دخلت سونيا يشغل قرب الباب واحـدا من الكراسي الثلاثة الموجوده في حجرة راسكولنيكوف وكان قد نهض ليفسح لها مجالا للدخول . فلما دعاها راسكولنيكوف الى الدخـول والجلوس اشار اليها اول الامر بالجلوس على « الديوان » حيث اعتاد زوسيموف ان يجلس ثم تذكر فجأة ان « الديوان » كان شيئا اليفـا بعيدا عن الكلفة خصوصا وانه يستخدمه بدلا من السرير ، فعاد وابدل رأيه واشار الى كرسي « رازوميخين » ودعاها الى الجلوس عليه بينما اشار الى رازوميخين بالجلوس في المكان الذي كان يحتله زوسيموف من قبل . فجلست حيث اشار مضطربة من الفزع ونظرت الى السيدتين بارتباك . كان يرى على وجهها بوضوح انهـا تستنكر وجودهـا الى جوارهما . ولما فكرت في هذه الناحية امتلكها جزع عنيف حتى انهـا نهضت فجأة وقالت بصوت مضطرب تحدث راسكولنيكوف مغمغمة :

ـ انا ... انني جئت من اجل دقيقة واحدة فاعذروني اذا كنت ازعجتكم . لقد جئت من قبل كاترين ايفانوفنا التي لم يكن لديها احد ترسله الي . لقد كلفتني كاترين ايفانوفنا بان ارجوك بالحاح للحضور غدا صباحا للمـاهمة في الجناز الذي سيقام بعد اقامة القـداس في « سانت ميتروفان » ومن ثم ان تأتي الى دارنـا ... الى دارهـا لتتنـاول قطعـة ...

انها تأمل ان توليها هذا الشرف وقـد كلفتني بان احمل اليك

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

هذه الاقوال !

وصمتت اخيرا بعد ان ازداد ارتباكها . فنهض راسكولينكوف بدوره ووقف مضطربا كذلك لا يحير جوابا واخيرا اجاب :

ـ سأسعى بالطبع ... بالطبع ... أرجو أن تتفضلي بالجلوس ... ان لدي ما اقوله لك . ارجوك . قد تكونين على عجلة من امرك ، لذلك ارجو ان تجلسي وان تمنحيني دقيقتين .

وقدم اليها « كرسيا » فجلست وعادت من جديد تلقي نظراتها المفعمة بالخجل ، التائهة في التأمل على السيدتين وأخيرا خفضت بصرها فجأة ! أما راسكولنيكوف فقد غدا وجهه الشاحب أحمر اللون وقد التمعت عيناه ببريق مضيء ! بدا كأنه مضطرب تماما مبلبل الافكار . واخيرا قال بلهجة حازمة :

ـ اماه ! هذه صوفي سيميونوفنا مارميلادوف ابنة ذلك التعس مارميلادوف الذي دهس مساء أمس أمام عيني والذي حدثتك عنه !

فنظرت بولشيري الكسندروفنا الى سونيا ثم أغمضت عينيها قليلا ، لانها لم تستطع ان تمتنع عن الاتيان بهذه الحركة التي ترضي كبرياءها رغم النظرة الملحة المتحدية التي كان يسلطها « روديا » عليها . اما دونيا فقد صوبت عينيها الى وجه الفتاة المسكينة مباشرة وراحت تتأملها باستغراق وجد وعلى وجهها امارات الاستفهام . وحاولت سونيا ان ترفع عينيها الى السيدتين عند سماعها هذا التقديم لكن ذلك زادها حيرة واضطرابا .

واسترسل راسكولنيكوف موجها حديثه الى سونيا :

ـ وددت ان اسألك كيف مر هذا اليوم عندكم ؟ عسى ان لا يكون قد حصل لكم اي ازعاج من قبل رجال الشرطة مثلا !

ـ كلا ... لقد انتهى الامر بسلام . خصوصا وان اسباب

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

الوفاة واضحة جدا لذلك فانهم لم يزعجونا غيـــر ان المستأجرين غير راضـــين !

ـ لماذا ؟

ـ لان الجثة باقية وقتا طويلا والطقس حار الان والرائحة ... حتى اننا اليوم في ساعة صلاة الغروب سننقلها الى المدفن بانتظـــار الغد في الكنيـــة ! وقد رفضت كاترين ايفانوفنا بادىء الامر ولكنهـــا بدأت ترى الان ان لا وسيلة غير هذه !

ـ اذن فان الدفن سيكون اليوم !

ـ انها ترجوك ان تشرفها لحضور الطقوس غدا ثم العـــودة الى البيت لتناول الطعام الجنائزي !

-أتقدم طعاما ايضا ؟

ـ نعم • طعام خفيف • وقد كلفتني بان اشكرك جزيـــل الشكر على المساعدة التي قدمتها لنا البارحة • ولولاك لما كنا نستطيع ايجـــاد ما يسد نفقات الدفن •

وفجأة راح ذقنها وشفتاها ترتجف لكنها بذلت جهدا كبيرا حتى تمالكت روعها وهي لما تزل شاخصة بابصارها الى الارض !

راح راسكولنيكوف ينظر اليها أثناء الحديث بانتباه • كانت ذات وجه صغير بائس نحيل شاحب وقسمات غير متناسقة • كانت تقاطيع وجهها قريبة من شكل الزوايا في تدانيها بذلك الانف المدبب الصغـــير وذقنها البارزة • ولم يكن يمكن اطلاق لقب جميلة عليها ولكنها بالمقابل كانت ذات عينين زرقاوين صافيتين اذا انفعلتا فان وجهها يكتسب طابعا جميلا طيبا طهورا حتى ليشعر المرء بانجذابه اليها رغم ارادته • ثـــم ان وجهها وكذلك شخصها كله ما كان محروما من بعض الميزات وكـــانت على الرغم من بلوغها الثامنة عشرة تبدو طفلة أصغر سنـــا من حقيقتهـــا

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

حتى ان الطفولة كانت لتشاهد بوضوح خلال بعض حركاتها المضحكة !

هتف راسكولينكوف وهو يتابع الحديث بالحاح واهتمام :

ـ لكن كيف استطاعت كاترين ايفانوفنا ان تقوم بكل هذا رغم قلة الامكانيات التي في يدها ؟ كيف تقدم مع ذلك وجبة طعام خفيفة ؟

ـ ستكون الجنازة بسيطة وسيكون كل شيء بسيطا وعلى هذا الشكل لن يكلف كل هذا شيئا كثيرا . لقد عملنا حساباتنا منذ قليل أنا وكاترين ايفانوفنا وهي تتمسك كثيرا بهذه المسألة خصوصا وانه لا يمكن الاستغناء عن ذلك لانه نوع من العزاء بالنسبة اليها . انها هكذا ، وانت تعرفها !

ـ انني افهم ... انني افهم ! لا شك ! .. ماذا بك تنظرين هكذا الى غرفتي ؟ ان امي كانت تقول منذ قليل بانها تشبه القبر !

ـ لقد اعطيتنا البارحة كل ما تملك !

افلتت هذه العبارة من شفة الفتاة فجأة واطلقتها بصوت يشبه همسا مبحوحا سريعا وعادت تطرق برأسها الى الارض وعادت شفتاها وذقنها الى الارتجاف ... لقد شعرت منذ دخولها بالفقر الذي يخيم على مسكن راسكولينكوف وقد ادهشتها هذه البادرة لذلك فان تلك الكلمات انطلقت من فمها دون وعي فصمتت . بينما التمعت عينا دونيا ونظرات بولشيري الكسندروفنا الى سونيا نظرة باشة ! واخيرا قالت الام وهي تنهض :

ـ روديا ... لسوف تتناول الطعام معا حتما ... لنذهب يا دونيا أما أنت يا روديا فانك تحسن صنعا اذا قمت بجولة تستريح بعدها وتعال الى مسكننا باسرع ما يمكن ، اننا نخشى أن تتبعك !

فقال وهو ينهض بحركة متهافتة :

ـ نعم . نعم . سأذهب ! ثم عندي بعض العمل !

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

فهتف رازوميخين وهو ينظر الى راسكولنيكوف بدهشة :

ـ لكنكم لن تأكلوا كل واحد على حدة ! ماذا بـ ...

ـ سأحضر نعم بالطبع . اما انت فابقَ ! ابقَ دقيقة . انكما لستما بحاجة اليه الان اليس كذلك يا اماه ؟ ام لعلي احرمكما منه ؟

ـ آه كلا كلا ... وأنت يا دميتري بروكوفيتش سوف تحضر لتناول الطعام معنا ! ارجو ان تتفضل بالحضور !

والحقت دونيا تقول :

ـ تعال ارجوك !

فانحنى رازوميخين ووجهه طافح بالبشر ! وانقضت فتره شعر الموجودون خلالها بنوع من الارتباك الغريب فقالت الام تقطع الصمت :

ـ الوداع يا روديا بل الى اللقاء ! لا احب كلمة الوداع ! الوداع ناستاسيا ! يا الهي لقد قلت الوداع مرة اخرى !

همت بولشيري الكسندروفنا بان تحيي سونيا كذلك لكنها لم توفق لذلك فقد عجلت بالخروج من الحجرة وكانت سونيا تنتظر دورها للخروج فمرت أفدونيا رومانوفنا من أمامها على أثر أمها لكنها انحنت تحييها تحية مؤدبة ارتعدت لها سونيا وسلمت بدورها مذعورة مرتبكة بينما اكتست قسماتها بمسحة من الالم غمرتها كلها كما لو ان النفاتة افدونيا رومانوفنا وتأدبها قد أحدثا في نفسها تعذيبا أليما !

وخرج راسكولينكوف الى الممشى وهو يقول :

ـ الوداع يا دونيا ... اعطني يدك !

فالتفتت دونيا نحوه وقالت بصوت عذب لم يخل من الاضطراب :

ـ لكني اعطيتها لك فهل نسيت ؟ لقد صافحتك !

ـ حسنا صافحيني مرة ثانية !

وضغط على اصابعها بشدة بين يديه بينما ابتسمت له واحمرت

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

خجلا ثم اسرعت تسحب يدها وهي تشعر بسعادة غامرة لا تعرف لهـا سببا ! وعاد راسكولينكوف الى سونيا وقال لها بوجه مشرق :

ـ هيا ... هذا حسن ! ليرحم الله وليدع الله الاموات وليدع الاحياء يعيشون كذلك ؟ أليس كذلك ؟ انه لكذلك !

ودهشت سونيا للاشراقة المفاجئـة التي سطعت على وجـه راسكولينكوف فنظرت اليه لحظات صامتة وتذكر ـ هو ـ خلال هذا الصمت كل ما حدثه به المرحوم بوحاصل هذه الفتاة بصورة مفاجئة !

لما بلغت بولشيري الكسندروفنا الشارع مع ابنتها هتفت :

ـ رباه يا دونيا ... انني الآن سعيدة جدا لاننا خرجنـا حتى ليخيل الي ان حملا ثقيلا قد انزاح عن صدري هل كنت اظن البارحـة وانا في القطار ان امرا كهذا سيسرني ؟

ـ اذكرك مرة اخرى يا اماه بانه لا يزال مريضـا . هل يعقـل أن لا تكوني قد لاحظت ذلك ؟ لعل الحزن لافتراقه عنا كـل هـذه المدة هو الذي أدى به الى المرض ! ينبغي أن يكـون المرء متسامحـا وانه ليستحق ان يصفح عن اشياء كثيرة تصدر عنه !

فأجابت بولشيري الكسندروفنا بلهجة غاضبة مقاطعة ابنتها :

ـ ولكنك انت لم تكوني متسامحة يا دونيا ! لعلك لا تعرفيـن يا دونيا بانني كنت انظر اليكما كليكما ! انك صورة عن اخيك تمامـا بل ولك مثل مزاجه انكما كلاكما سويداويان ، كلاكما شرسان سريعا التأثر والانفعال . شديدا الازدراء نبيلان ... كلاكما نعم ! لانـه لا يمكن ان يكون أنانيا فماذا ترتئين يا دونيا ؟ مـا رأيكما ؟ عندمـا أفكر انه سيكون عندي مساء يكف قلبي عن الضرب !

ـ لا تبتئسي يا أماه ولسوف يحدث ما يجب أن يحدث !

فقالت بولشيري الكسندروفنا برعونة وسذاجة :

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ دونيا فكري قليلا في أي موقف نحن ؟ ماذا سيحدث اذا انسحب بيير بيتروفيتش ؟

فقالت دونيا بلهجة خافتة مشمئزة :

ـ سيكون عندئذ عديم الشرف !

وعادت بولشيري الكسندروفنا تقول متعجلة :

ـ لقد احسنا صنعا بخروجنا في هذه اللحظة . ان عملا مستعجلا كان يستدعيه ! انه على الاقل سيتحرك قليلا وسيستنشق قليلا من الهواء ... ان المرء ليختنق في حجرته لكثرة الحرارة ! لكن اين يستنشق الانسان في هذه المدينة ؟ ان الشوارع تشبه غرفا محرومة من نوافذ يا رباه ! يا لها من مدينة ! انتظري ! احذري .. آه حقيقة اننا مبلبلتا الخواطر ... انني اخاف كذلك من تلك الفتاة !

ـ اية فتاة يا اماه ؟

ـ لكن رباه ... من هذه الـ : صوفي سيميونوفنا ... تلك التي حضرت اليه منذ لحظات !

ـ لم تخافين منها ؟

ـ انني اشعر شعورا مسبقا يا دونيا ! الم تلاحظي ماذا حدث عند دخولها ؟

اكاد اعتقد ان النقطة الرئيسية كامنة فيها ! ولك ان تصدقيني ام لا !

فهتفت دونيا مستنكرة :

ـ ابدا انك دائما تتبعين شعورك المسبق ! انه لا يعرفها الا منذ البارحة ولم يستطع التعرف عليها للوهلة الاولى منذ قليل عندما دخلت !

ـ حسنا سترين ! انها تقلقني . سترين ! كم روعت منها ! لقد

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

كانت تنظر الي بتينك العينين حتى انني ما كنت أستطيع التمالك الا بصعوبة . هل تذكرين كيف قدمها الينا ؟ ان الامر يبدو غريبا ذلك لانه يقدمها لنا ـ لي ولك ـ بعد أن كتب الينا بيير بتروفيتش عنها ما كتب . وعلى هذا فانه يحبها ! او انها غالية عليه !

ـ ان المرء يكتب اشياء كثيرة . لقد كتب عنا نحن وحكي عنا الشيء الكثير ام تراك قد نسيت ؟ انني متأكدة من جانبي بانها فتاة مدهشة وان كل ما قيل عنها ان هو الا لغو !

ـ ليتقبل الله !

فاضافت دونيا بلهجة حاسمة :

أما بيير بيتروفيتش فانه نمام مرذول !

فاحنت بولشيري الكسندروفنا رأسها وتوقف الحديث عند هذا الحد !

وفي الحجرة قال راسكولينكوف وهو يقود رازوميخين الى النافذة :

ـ سأخبرك عن الامر الذي أردت التحدث به اليك !

بينما بادرت صوفي سيميونوفنا تقول وهي تنحني محاولة الخروج :

ـ سأقول اذن لكاترين ايفانوفنا انك ستحضر !

ـ ستتكلم بعد قليل يا صوفي سيميونوفنا . ليس لدينا اسرار نخفيها . انك لا تزعجيننا احب ان اقول لك كلمتين اخريين ...

ثم استدار الى رازوميخين وقال :

ـ اليك القضية : انك تعرفه اليس كذلك ... ما اسمه ؟ بورفير بيتروفيتش .

فاجاب رازوميخين باهتمام بالغ :

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ لا شك انه احد اقربائي . ماذا تريد منه ؟

ـ تلك القضية ... انت تعرفها ... اقصد الجريمة ! كنت تقول البارحة انه يحقق فيها الان !

فاجاب رازوميخين وهو يحملق بعينيه :

ـ نعم ... ماذا بعد ؟

ـ وانه استجوب الاشخاص الذين اودعوا لدى تلك العجوز بعض الرهائن ... حسنا ... انني شخصيا رهنت عندها بعض الحاجات . أشياء غير ذات قيمة في مجموعها : خاتم صغير قدمته الي أختي عندما غادرتها الى بيترسبورغ والساعة الفضية التي كانت لابي . ان هاتين الحاجتين لا تساويان اكثر من خمسة او ستة روبلات ولكنني اتمسك بهما لانهما ذكريات . فماذا ينبغي ان اعمل الان ؟ انا لا اريد ان تضيع هذه الاشياء وخصوصا الساعة . انني كنت ارتعد منذ قليل خشية ان تسألني أمي عنها عندما تحدثنا عن ساعة دونيا . انها الاثر الوحيد الباقي لابي ولسوف تمرض امي ان هي ضاعت ! ان النساء دائما هكذا ... فعلمني ماذا أعمل ؟ أنا أعرف انه يجب ان اقدم افادة ولكن أليس من الاحسن ان نعلم بورفير شخصيا بذلك ؟ هم ماذا تعتقد ؟ انني أحب أن أنهي هذه القضية بأسرع ما يمكن . ولسوف ترى ان امي ستفكر في سؤالي عن اخبار الساعة قبل موعد الطعام !

فهتف رازوميخين وقد اضحى فريسة اضطراب غير طبيعي :

ـ لا لزوم للجوء الى البوليس ان الذهاب الى بورفير هو الصواب . آه ! كم انا سعيد ! ثم لِمَ لا اكون سعيدا ؟ لنذهب فورا انه على قيد خطوتين من هنا ولسوف نجده حتما .

ـ ليكن ... لنذهب .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ ولسوف يكون مسرورا جدا بالتعرف اليك ! لقد حدثته عنك كثيرا وفي مناسبات عديدة ، والبارحة كـان آخر حديث لنا ... وعلى هذا فانك كنت تعرف العجوز ؟ ها ها ... كم يرتبط الامر الان بشكل مدهش ! آه ! نعم ... صوفي ايفانوفنا ...

فصحح راسكولينكوف قوله :

ـ بل صوفي سيميونوفنا ... انه صديقي رازوميخين يا صوفي سيميونوفنا ! انه شاب ممتاز !

فقالت صوفي دون ان تنظر الى رازوميخين لشدة خجلها :

ـ اذاً كنتما ستخرجان ...

فقال راسكولينكوف :

ـ نعم لنذهب ! سأمر بدارك اليوم يا صوفي سيميونوفنـا فقط خبريني اين تقطنين .

لم يكن يبدو عليه الارتباك تماما لكنه كان يقول هذه الكلمـات بلهجة محمومة وهو يختلس النظر الى وجه الفتاة . فاعطتـه سونيـا عنوانها وهي تحمر من الخجل . ثم خرجوا ثلاثتهم معـا . سـأل رازوميخـين :

ـ ألا تغلق بابك بالمفتاح ؟

فاجاب راسكولينكوف :

ـ ابدا ... مع العلم بانني منذ عامين وانا افكر ابـدا في شراء قفل ! سعداء هم الذين لا يملكون ما يخفونه بالمفتاح أليس كذلك ؟

كانت جملته الاخيرة هذه موجهة الى سونيا وكان وجهـه هاشا باشا ، ولما بلغوا الباب الخارجي توقفوا برهة . فقال راسكولينكوف مخاطبا بشكل يشعر منه بانه يريد ان يقول لها شيئا آخر :

ـ ستذهبين من اليمين أليس كذلك يا صوفي سيميونوفنا ؟ ولكن

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

كيف استطعت اكتشافي ؟

كان يحاول عبثا ان ينظر في عينيها الصافيتين الهادئتين ... فاجابت :

ـ ولكنك اعطيت عنوانك امس الى بوليا !

ـ بوليا ؟ آه نعم ! بوليا ... انها تلك الصغيرة ... انها اختك؟ وعلى هذا فقد اعطيتها عنواني !

ـ هل نسيت ذلك ؟

ـ كلا أنني أتذكر جيدا !

ـ ثم انني كنت قد سمعت ابي المرحوم يتحدث عنك ما كنت اعرف اسمك . وهو نفسه كان يجهله . والان فقد جئت ... وعند ما علمت اسمك البارحة ... سألت اليوم : هل يقطن هنا السيد راسكولينكوف ؟ لانني ما كنت اعرف انك انت كذلك تقطن في غرفة مؤثثة ! الوداع لسوف اقول ذلك لكاترين ايفانوفنا !

شعرت بسرور بالغ وهي تبتعد اخيرا ... فمضت مطرقة الرأس وهي تحث خطاها لتبلغ المنعطف القريب الذي يبعد عشرين خطوة عن مكان وقوفهما كي تختفي عن ابصارهما ولكي تصبح وحيدة ايضا ! وعندما تصل الى المنعطف ستشير مسرعة دون أن تبالي بأحد أو أن تنظر حولها ... ولسوف تفكر وتتذكر وتستعيد في ذهنها كل كلمة قيلت ! كل مناسبة ! انها لم تشعر من قبل ابدا بشعور من هذا القبيل ! لقد شعرت بعالم جديد يخلق فجأة في روحها بشكل غامض غير واضح . وتذكرت فجأة ان راسكولينكوف يود زيارتها هذا اليوم بالذات بل لعله يحضر توا . فراحت تغمغم مغمغمة القلب وكأنها تحاول تهدئة طفل صغير !

ـ رباه ... المهم ان لا يحضر اليوم ! رباه .. غرفتي .. تلك

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

الغرفة ! لسوف يراها ! آه يا رب !

لذلك ونظرا لحالة الاضطراب التي كانت تعانيها فانها لم تلاحظ طبعا ان سيدا لم تكن تعرفه ، راح يتبعها خطوة فخطوة . لقد رافقها دون أن تشعر منذ أن رآها تخرج من الباب العام عندما كان رازوميخين وراسكولينكوف واقفين معها يتبادلون بضع كلمات على الرصيف . وقد مر ذلك السيد في تلك اللحظة بهم وانتفض فجأة حينما سمع طرفا من حديث سونيا وكانت تقول : « لقد سألت : هل يقطن هنا السيد راسكولينكوف ! » فنظر بسرعة ولكن بانتباه الى الاشخاص الثلاثة وبصورة خاصة الى راسكولينكوف الذي كانت تتحدث اليه . ولم تدم نظرته تلك الا لحظة خاطفة وقد وقعت عيناه على السير . فلما ابتعد راح يهدىء من خطاه ويبطء في سيره كما ولو كان ينتظر احدا . لقد كان ينتظر سونيا وقد شاهد الاشخاص الثلاثة يتبادلون كلمات الوداع ورأى سونيا تسير في اتجاهه لتعود الى منزلها . فهتف يغمغم محدثا نفسه : « هه ! اين تسكن اذن؟ لقد رأيت هذا الوجه من قبل في مكان ما » .

كان يحاول استنهاض ذاكرته لتسعفه بما نسيته . فلما وصل الى المنعطف مضى الى الجانب المقابل واستدار الى الخلف فرأى سونيا تتبعه في ذلك الطريق بالذات دون ان تلحظ شيئا . ولما تجاوزته راح في اعقابها سائرا على الرصيف المقابل دون ان يدعها تغيب عن ناظريه ، واستمر بعيدا عنها حتى قطعا خمسين خطوة تقريبا وعندئذ عاد الى الرصيف الاول حيث كانت تسير فلحق بها وسار وراءها مباشرة مخلفا بينهما مسافة خمس خطوات فقط .

كان رجلا في الخمسين من عمره ميالا الى الطول متين البنية مرتديا ثيابا انيقة ثمينة ومناسبة ، له مظهر « البورجوازي » المحترم !

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

وكان يحمل في يمناه عصا جميلة كان يقرع بها الرصيف مع كل خطوة. ويلبس قفازات جديدة ولا يبدو على مظهره ولون بشرته انه من بيترسبورغ . ولم يكن المشيب قد خط بعد سطورا طويلة على شعره الاشقر الكثيف . أما لحيته فكانت كثة ومشذبة ذات لون أشقر فاتح يشبه لون شعر الرأس ! وكانت له عينان زرقاوان ذات نظرة باردة ملحة حالمة وشفتان حمراوان . فكان بمجموعه رجلا محتفظا بشبابه احتفاظا مدهشا يبدو اصغر سنا من حقيقته .

اشرفت سونيا على القناة وكان الغريب على بعد متساو وعلى وصيف واحد ، فنظر اليها متأملا ولاحظ انها ساهمة مفكرة . فلما بلغ مسكنه دخلت سونيا من الباب العمومي فحذا حذوها وهو في دهشة من الامر . وبلغت سونيا الباحة فانعطفت الى اليمين حيث السلم الذي يؤدي الى مسكنها فغمغم السيد الغريب بكلمة تشعر بدهشته وراح يصعد السلم على اثرها فلما بلغت الطبقة الثالثة سارت في الممشى وقرعت الباب التاسع وعليه لوحة نقش عليها هذا الاسم : كابرناؤوموف خياط ! دهش الغريب لتلك المصادفة العجيبة وراح يقرع بدوره الباب الثامن وكان البابان على بعد ست خطوات الواحد عن الاخر .

نظر اليها الغريب وقال مبتسما :

ـ انك تقطنين لدى كابرناؤوموف ؟ لقد خاط لي البارحة « صدارا » ! انني اقطن هنا بجانبك عند السيدة رسليش ، جرترود كارلوفنا ! ما ادهش الصدف !

فنظرت اليه سونيا باتتباه بينما راح يتابع حديثه قائلا بلهجة مرحة :

ـ اننا جاران . لقد حللت في بيترسبورغ منذ أمس

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

الاول ... هيا ... يسرني لقاؤك !

لم تجب سونيا كان بابها قد فتح فتسللت الى حجرتها وقد شعرت بانها تخجل من شيء ما وترهب منه !

* * *

كان رازوميخين شديد الحماس وهو في طريقه مع راسكولينكوف الى مسكن بورفير ! وكان يهتف مكررا :

ـ يا صديقي العجوز ! ان ذلك عين الكمال ! انني سعيد ... انني سعيد !

وبينما كان راسكولينكوف يفكر في نفسه قائلا : « ما الذي يسعدك ؟ » كان صديقه مستمرا في حديثه يقول :

ـ كنت اجهل انك انت ايضا قد استلفت من تلك العجوز لقاء أشياء رهنتها آه ... هل ذهبت اليها أقصد متى ذهبت اليها لاخر مرة ؟

غمغم راسكولينكوف في سره يقول : يا لك من ساذج سخيف ! ثم توقف برهة وكأنه يفكر في سؤال صديقه وقال :

ـ متى ؟ لقد ذهبت اليها قبل موتها بثلاثة أيام على ما أعتقد ، ثم انني لا اريد ان استعيد هذه الاشياء الان لانني لا املك الا روبلا واحدا تبقى لي بسبب ذلك الهذيان الملعون الذي اصابني امس !

كان يتحدث عن تلك الاشياء بلهجة تعبر عن عناية خاصة بها ، وكذلك فقد نطق بكلمة « الهذيان » بلهجة شديدة الاغراء ! فبادر رازوميخين الى القول :

ـ هيا .. نعم .. نعم ، اذن هو السبب في انك .. لقد ادهشتني على الاكثر اقوالك اثناء هذيانك ... انك ما كنت تفتأ تتحدث عن

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

سلاسل وخواتم نعم نعم ! لقد وضح كل شيء الان !

راح راسكولنيكوف يناجي نفسه بقوله : « ان تلك الفكرة مغروسة اذن في عقولهم ! هذا الرجل مثلا ... انه على استعداد للتضحية بنفسه من اجلي وهو سعيد لانه وجد تفسيرا معقولا للسبب الذي دفعني الى التحدث عن الخواتم في الحلم ! ان الفكرة اذن قد رست في رؤوسهم جميعا ! » ثم سأل صديقه بصوت مرتفع :

ـ لكن هل نجده في مسكنه ؟

فاسرع رازوميخين يجيب :

ـ سوف نجده ... سوف نجده . انه شاب ممتاز يا صديقي وسترى ! انه اخرق بعض الشيء واقصد انه يسير مع الدنيا . ولكنني لم انعته بالاخرق من اجل هذا ... انه فتى ذكي بل انه شديد الذكاء ولكن لديه اتجاها خاصا في عقله . انه حذر ماجن ومتشكك ... يروق له ان يسخر ولكن ليس لدرجة « التهريج » واخيرا الاسلوب القديم وأقصد أسلوب الاعتماد على الواقع المادي ... لكنه يعرف عمله تماما بل انه ضليع فيه ... لقد حقق في العام الماضي في قضية قتل كانت كل الاثار فيها ضائعة . وهو يرغب في التعرف اليك بشوق زائد !

ـ ولم يرغب في ذلك الى هذا الحد ؟

ـ ليس ... لانه لكن الا ترى السبب ؟ انني في هذه الايام الاخيرة ـ بينما كنت مريضا ـ تحدثت اليه كثيرا عنك ولقد اصغى الي بانتباه ولما علم بانك طالب حقوق وانك لم تتمكن من متابعة دروسك لاسباب خارجة عن طاقتك قال : يا للاسف ! ومن ذلك استنتجت ... واقصد من كل الاشياء مجتمعة وليس من هذا فحسب . البارحة زاميوتوف ... افهمني يا روديا ... قد اكون تأثرت البارحة

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

كثيرا عندما كنت ثملا وكنت أرافقك الى الدار ... لذلك فانني أخشى ان تكون مغاليا ...

ـ ماذا تريد ان تقول ؟ انهم يعتبرونني مجنونا ؟ ولكن قد يكون ذلك صحيحا !

واغتصب ضحكة صامتة .

ـ نعم ... نعم ! او بالاحرى لا ... سواء اكان ذلك ان كل ما قلته وما بعده كله كان سخيفا وبتأثير الشراب !

فصاح راسكولنيكوف يقول وقد هم ان يندفع من الغضب :

ـ لكن لم تعتذر ؟ ان كل ذلك يقتلني في النهاية !

ـ انني اعرف ... انني افهم ! ثق بانني افهم ، حتى انه من المخجل التحدث فيه !

ـ اذن ! طالما ان التحدث فيه مخجل فلنكف !

وصمت الصديقان وكان رازوميخين يفيض حماسة الامر الذي كان راسكولنيكوف يلاحظه باشمئزاز وكان كذلك مكتئبا مما سمعه للتو من رازوميخين عن بورفير ، فراح يناجي نفسه وهو يشعر بشحوب وبخفقان شديد في قلبه :

ـ ينبغي ان القي الرماد في عيني هذا ايضا ! ان ذلك طبيعي تماما ، ولكن « ان لا القي بشيء مطلقا » سيكون طبيعيا اكثر ... نعم ان ارغم نفسي على عدم القاء شيء في عينيه ! كلا ! لانني اذا ارغمت على ذلك فلن يكون الامر طبيعيا تماما حينئذ سنرى كيف تسير الامور ... ترى هل احسن صنعا بالذهاب الى هناك ام لا ؟ ان الفراشة تطير من تلقاء نفسها نحو الشمعة ، انني اشعر باضطراب في قلبي وان ذلك لفأل سوء .

قال رازوميخين :

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ انه في هذا المنزل الرمادي ..

استمر راسكولينكوف في حديثه مع نفسه :

ـ « هنا امر حيوي جدا : هل يعرف بورفير بزيارتي الى منزل تلك الساحرة امس ام لا ... وعن سؤالي عن الدم ! ينبغي ان اعرف ذلك بلمحة خاطفة منذ البداية ، نعم حال دخولي والا ... فلسوف اعرف اذا كنت بأخسر نفسي ! »

وخاطب رازوميخين فجأة وعلى شفتيه ابتسامة خبيثة :

ـ على فكرة . لقد لاحظت يا صديقي انك منذ هذا الصباح في اضطراب غير عادي فهل هذا صحيح !

فقال رازوميخين منكرا :

ـ اي اضطراب ؟

ـ هيا ... يا عزيزي ان ذلك لا يمكن حجبه ! لقد كنت منذ لحظات جالسا على مقعدك كما لم تفعل ابدا من قبل . كنت جالسا على حافة المقعد تماما وكنت تنتفض من ارتعادة تشنجية فلا يقر لك قرار وكنت تغضب حينا لتعود فجأة الى اتخاذ سحنة هادئة . كنت تحمر احيانا خصوصا لما دعوك الى تناول العشاء ... لقد احمر لونك حتى جذور شعرك !

ـ ان هذا غير صحيح ! انك تكذب ! لم تقول هذا ؟

ـ الحقيقة انك خجول كالتلميذ الصغير ! يا للشيطان ها انك تعود الى الاحمرار !

ـ يا لك من قذر بعد ذلك !

ـ لكن لِمَ كل هذا الخجل يا روميو ! انتظر ... لسوف اقوله في مكان ما اليوم ها ها ها ! لسوف اجعل ماما تضحك اليوم ، وشخصا آخر !

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

فصاح رازوميخين وقد خرج عن طوره وشعر ببرودة الرعب :

ـ اسمع ... اسمع ! انني أتحدث جديا الان ! ماذا سيحدث بعد ذلك ؟ يا للشيطان هل قدرت ؟ ماذا ستذكر لهما ... انا ؟ يا عزيزي ... اوف ... يا لك من قذر !

ـ آه لقد اصبحت كوردة في الربيع تماما .. كم يليق بك هذا ... لو كنت تدري ! روميو بطول ستة اقدام ... حسنا لقد اغتسلت اليوم وقلمت أظافرك هم ؟ هذه الاشياء لم تشاهد فبك من قبل ! يا الهي العظيم ! وقد تطيبت ... اخفض رأسك قليلا !

ـ خنزير !

فانفجر راسكولينكوف ضاحكا بعنف كاد ان يفقده السيطرة على اعصابه . وهكذا تخطى عتبة مسكن بورفيريبيتروفيتش وهو يضحك . وهذا ما اراده راسكولينكوف : لقد كان يمكن استماع ضحكته من داخل المسكن وقد امتد ذلك الجذل والحبور داخل المشي !

وغمغم رازوميخين وهو يقبض على كتف راسكولينكوف :

ـ ولا كلمة هنا والا كسرت لك « بوزك » !

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

٥

كان راسكولنيكوف قد دخل الشقة وعلى وجهه امارات من يبذل جهدا ليمتنع عن الانفجار من الضحك ، وجاء وراءه رازوميخين منقلب السحنة من الغضب ، أحمر كالورد ، كالابله المقنع. وكان وجهه وشكله يحملان طابعا يثير السخرية في تلك اللحظة ، ويفسر تفسيرا معقولا سبب تهلل رفيقه .

انحنى امام صاحب المسكن قبل ان يقدم اليه . ومد يده اليه مبتايا جهدا واضحا ليكبت عواطفه ويطرد عن نفسه ذلك المرح كي يستطيع على الاقل التلفظ بالكلمتين او الثلاث كلمات اللازمة في مثل هذه المقابلة . وكان صاحب البيت واقفا وسط الحجرة يفحص زائريه بنظره ... ولم يكد راسكولنيكوف يتخذ شكلا جديا ويغمغم ببضع كلمات حتى وقعت عيناه فجأة على رازوميخين ، وعندئذ لم يعد باستطاعته الثبات . وهكذا انطلقت الضحكة الحبيسة بقوة تبرر هما شدة الكبت الذي كانت تعانيه . وكان للغضب العنيف الذي استقبل به رازوميخين تلك الضحكة اثرا بعيدا في اعطاء ذلك المشهد طابع المرح الطبيعي الحقيقي . ولقد ساهم رازوميخين في ذلك ــ وكأنه كان متعمدا ــ فزمجر وهو يلوح بيده :

ــ آه .. الى الشيطان ..

وارتطمت يده بمائدة صغيرة كان عليها قدح من الشاي فطوحت بهما معا الى الارض ، واحدث هذا الارتطام فرقعة عالية . فهتف بورفير بيتروفيتش بلهجة وديعة :

ــ لكن لم تحطيم الكراسي ، ايها السادة ؟ انكم تسببون خسارة للدولة !

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

كان راسكولنيكوف يضحك ملء رئتيه ناسيا يده في يد صاحب الدار لكنه كان ينتظر الوقت الذي ينبغي له فيه ان يسحبها بسرعة وبشكل طبيعي للغاية . اما رازوميخين فقد اشتد جزعه اثر سقوط المائدة وتحطم القدح ، فراح يتأمل في اجزائه المتناثرة ثم انسحب مهزوما حانقا باتجاه النافذة حيث وقف مستديرا بوجهه اليها ينظر خلالها الى لا شيء وهو منقلب السحنة . وكان بورفير بيتروفيتش يضحك وهو يتلهف الى مزيد من الضحك ، ولكنه كان ينتظر تفسيرا لهذه الحالة . وفي ركن من الغرفة كان زاميوتوف يجلس على كرسي فلما دخل الزائران تناهض وانتظر فاغر الفم وقد حيره المشهد وجعله متحذرا يراقبه بفضول خاص . وكان لوجود زاميوتوف ـ وهو ما لم يكن يتوقعه ـ وقع مزعج في نفس راسكولنيكوف الذي فكر في نفسه قائلا : « وهذه مسألة ينبغي اخذها بعين الاعتبار ! » .

شرع راسكولنيكوف يفسر سبب هذا الموقف مبديا خجله :

ـ ارجو ان تعذرني .. فان رازوميخين ..

فقاطعه بورفير قائلا :

ـ العفو . لقد ادخلتما السرور على نفسي ! ولقد دخلتما بلطفه زائد ...

ثم اشار الى رازوميخين وقال :

ـ هه ! هل يرفض حتى القاء التحية !

ـ عجبا .. لست ادري لِمَ غضب مني . لقد قلت له في الطريق انه يشبه « روميو » ، ولقد اثبت له ذلك .. ولست اعتقد ان هناك شيئا آخر ! ..

فهتف رازوميخين محنقا دون ان يستدير :

ـ خنزير !

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

فقال بورفير ضاحكا :

ـ ينبغي ان تكون لديه المبررات الكافية حتى يغضب من كلمة صغيرة بسيطة !

فصرخ رازوميخين :

ـ هاأنتذا «تتفذلك» ، يا قاضي التحقيق ! هيا ليحملكم الشيطان !

ثم استدار وهو يضحك وقد غمر البشر وجهه واقترب نحو بورفير بيتروفيتش وكأن شيئا لم يحدث ومد اليه يده وقال :

ـ احييك بسرور ! والان الى العمل . هذا صديقي رودیون رومانيتش راسكولنيكوف . اولا باعتباره سمع عنك كثيرا فقد اراد ان يتعرف بك ، ثم ان لديه عملا صغيرا يود انهاءه معك . هه ! زاميوتوف ! اية صدفة جاءت بك الى هنا ؟ انكما متعارفان اذن ؟ منذ متى وانتما على علاقات ...

وناجى راسكولنيكوف نفسه متسائلا : « ما معنى هذا ؟ » . اما زاميوتوف فكان مرتبكا قليلا لكنه تغلب اخيرا على ارتباكه وقال بلهجة وديعة :

ـ البارحة .. لقد تعارفنا عندك !

ـ اذن انها « العناية » التي هيأت كل شيء . لقد كان في الاسبوع الماضي يلح كثيرا ليقدم اليك يا بورفير ، لكنكما لم تعودا بحاجة الي لاجراء ذلك ! أين سجايرك ؟

كان بورفير بيتروفيتش في ثيابه المنزلية : معطف منزلي ، وقميص نظيف جدا ، وحذاء خفيف مثني الكعب ، وكان في الخامسة والثلاثين من عمره ، قامته فوق الوسط ، ممتلىء الجسد ، منتفخ الكرش قليلا ، حليق الشارب ، قصير السالفين ، قصير الشعر ، رأسه كبير مستدير ينتهي بنتوء غريب عند القفا ، منتفخ الوجه مدوره ، افطس الانف قليلا ، أصفر اللون كالمرضى ، ممتلئا حيوية ودعابة ، تقرأ على قسماته

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

سلامة النفس لولا عينيه السماوية اللون « كالماء الصافي » المغطاتين باهداب تكاد ان تكون بيضاء ، واللتين كانتا تطرفان باستمرار وكأنه يشير بهما اشارات معينة الى شخص ما . كانت نظرة عينيه تتناقض مع مجموع شخصيته التي كانت تختزن لونا من الانوثة تقريبا ، فكانت تلك النظرة تعطيه مظهرا جديا رزينا غير ذلك الذي يصافح العين للوهلة الاولى .

ولما علم بان الزائر يود انهاء قضيته معه رجاه بالحاح ان يجلس على الاريكة ، وجلس هو على الجانب الاخر منها مبديا اهتماما زائدا ومنتظرا ان يبدأ الضيف بعرض موضوع القضية . ولعل مثل هذا الاهتمام البالغ من قبل شخص مجهول يبدو مربكا وفي غير موضعه ، خصوصا اذا كان ما يود المرء عرضه تافها لا يستحق مثل هذا الاهتمام. غير ان راسكولنيكوف راح ببضع كلمات موجزة ومسبوكة يوضح قضيته بدقة وجلاء ادخلا على نفسه السرور ، واستطاع خلالها ان يمعن النظر في بورفير . وكان بورفير بيتروفيتش بدوره لا يرفع بصره عن محدثه ، بينما كان رازوميخين جالسا قبالتهما امام المائدة الصغيرة اياها يتابع بصبر نافذ وانفعال موضوع القضية . فكانت ابصاره تنتقل على التناوب من وجه هذا الى وجه ذاك وبالعكس بشكل يتعدى الحد الطبيعي . حتى ان راسكولنيكوف لم يتمالك نفسه ان قال في سره : « سخيف ! » .

قال بورفير مجيبا بلهجة ممهدة :

ـ ينبغي ان تتقدم بافادتك الى الشرطة . ستقول انك بعد ان علمت بكذا وكذا ، واقصد جريمة القتل ، فانك ترغب بدورك باعلام قاضي التحقيق المولج بهذه القضية بان الاشياء كذا وكذا تخصك وانك تود استعادتها . او ..

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

فعاد راسكولنيكوف يقول ، وهو يحاول جاهدا أن يبدو بمظهر شديد الخجل :

ـ الواقع انني في هذه اللحظة لست غنيا ، وحتى هذه الاشياء التافهة فانني لن استطيع .. اقصد .. اريد في الوقت الحاضر ان اثبت بان هذه تخصني ، لكنني عندما سأحصل على مال ...

فاجابه بورفير بيتروفيتش مبديا برودا ازاء التصريح المتعلق بالناحية المادية :

ـ لا بأس . ثم أنك تستطيع ـ اذا كنت تريد ـ ان تكتب الي مباشرة بهذا المعنى : بعد ان علمت بكذا وكذا ، وباعتبار ان الاشياء كذا وكذا تخصني فارجو ..

سأل راسكولنيكوف بلهجة متهافتة مظهرا بذلك عنايته المجددة بالناحيه المالية :

ـ هل يمكن كتابة هذا الطلب على ورق عادي ؟

ـ آه .. على اي ورقة تريد !

ونظر بورفير بيتروفيتش اليه نظرة فيها سخرية واضحة ، وطرف بعينه كما لو كان يشير بذلك الى ان يفهم القصد المستتر ! ولعل راسكولنيكوف اخطأ في التصور لان تلك الحركة كانت سريعة كالبرق .. كان على استعداد ليقسم بان بورفير غمز له بعينه لسبب يعلمه الشيطان ! كان في الامر شيء ! فغمغم يخاطب نفسه : « انه يعرف ! » ومرت هذه الفكرة في خاطره بسرعة الصاعقة ! فاردف بشيء من الارتباك :

ـ اعذرني اذا ازعجتك بحماقات كهذه . ان هذه الاشياء تساوي خمسة روبلات في مجموعها ، لكنها غالية على نفسي بسبب الذكرى التي تحملها . واني اعترف بانني روعت عندما علمت ..

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

فقال رازوميخين بلهجة لا تدع مجالا للشك في براءة نيته :

ـ هه ! .. انك من اجل هذا اذن ابديت تلك الدهشة لما تحدث اليك زوسيموف البارحة وهو يثرثر بان بورفير يستجوب اصحاب الاشياء المرهونة !

كانت الملاحظة شديدة الوقع على راسكولنيكوف فنظر الى رازوميخين نظرة تشتعل بالغضب ، لكنه تمالك اعصابه على الفور ورد مجيبا وقد سيطر على غضبه ببراعة :

ـ يا عزيزي ، اعتقد انك تسخر مني . انني اعترف باهتمامي الزائد بهذه الاشياء التي تبدو لعينيك « قذارات » . لكن لا محل في هذا لاعتباري انانيا مهووسا بالاشياء التافهة لان هذه الاشياء لا تبدو ابدا في نظري « قذارات » . لقد قلت منذ لحظة ان تلك الساعة الفضية التي لا تساوي اكثر من فلسين كانت الاثر الوحيد الذي بقي لي من أبي . اسخر مني كما تشاء ..

ثم خاطب بورفير معقبا :

ـ خصوصا وان امي قد وصلت ، وانها اذا علمت ـ وعاد هنا يخاطب رازوميخين يحاول ان يظهر صوته مضطربا ـ نعم اذا علمت بان تلك الساعة فقدت فانها ستنهار الى اقصى درجات اليأس . واقسم لك على هذا ! هكذا النساء !

فقال رازوميخين بحرارة :

ـ لكن الامر ليس كما تقول ! لقد ترجمت فكرتي ترجمة سيئة .. لقد اردت ان اقول العكس تماما .

وكان راسكولنيكوف يخاطب نفسه مغمغما بقلق : « هل بدوت طبيعيا ؟ هل كان ذلك موفقا ؟ الم ابالغ ؟ لماذا قلت هكذا النساء ! »

سأله بورفير لسبب من الاسباب :

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ وهكذا اذن فقد وصلت امك ؟

ـ نعم !

ـ ومتى كان ذلك ؟

ـ البارحة مساء !

صمت بورفير وبدا كأنه يرتب امرا ، ثم اضاف بلهجة هادئة باردة :

ـ ان اشياءك لا يمكن ان تضيع بأي حال . اضف الى ذلك انني كنت انتظرك منذ زمن طويل .

ومد يده بمنفضة السجاير الى رازوميخين الذي كان يلقي برماد سيجارته على السجادة دون اشفاق ! وبدا كأنه لم يتلفظ بشيء مهم بينما شعر راسكولنيكوف بانتفاضة .. غير ان بورفير لم يبد عليه انه ينظر اليه بسبب انشغاله بسيجارة رازوميخين .

هتف رازوميخين :

ـ ماذا ؟ كنت تنتظره ؟ انك اذن كنت تعرف بان له اشياء «هناك» .

وفجأة التفت بورفير بيتروفيتش الى راسكولنيكوف ، وقال :

ـ ان اشياءك كلها : الساعة والخاتم ، وجدت « عندها » ملفوفة في الورقة . وكان اسمك مكتوبا بوضوح عليها بالقلم ، وكذلك التاريخ الذي اودعت فيه تلك الاشياء لديها !

فتضاحك راسكولنيكوف بغباوة ، وقال وهو يجهد ان ينظر بثبات في عينيه :

ـ كيف تسنى لك ان تكون مدققا بهذا القدر ؟

لكنه لم يتمالك ان اردف معقبا :

ـ انني اذ ابدي مثل هذه الملاحظة فذلك لانني ولا شك كنت واحدا بين عدد كبير من الراهنين مما يجعل تذكرهم جميعا على شيء من الصعوبة . وأرى انك على العكس تتذكرهم جميعا في دقة

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

متناهية و ... و ...

وناجى نفسه بقوله : « حيوان ! رعديد ! لم اضفت هذا ! » .

اجاب بورفير بشيء من السخرية :

ـ ذلك لان كل الراهنين قد اصبحوا الان معروفين من قبلي حتى انك الوحيد الذي لم تتقدم بعد بطلب استرداد .

ـ لم اكن متمالكا صحتي تماما !

ـ نعم . لقد سمعتهم يقولون ذلك . بل وقد سمعت انك تعرضت لبعض المضايقات ، وانك تبدو الان ايضا شاحبا .

فقاطعه راسكولنيكوف بخشونة وغضب :

ـ انا لست شاحبا ابدا . على العكس انني على خير ما يرام ..

كان يعصف بين جنبيه غضب عنيف لم يكن يستطيع له ضبطا وكبتا . وكان يفكر في سره : « ان هذا الغضب سوف يجعلني ابتلع الطعم ! لكن ماذا بين ايديهم حتى يعذبونني على هذا النحو ؟ »

وعاد رازوميخين يقول :

ـ لست تماما على خير ما يرام . انها طريقة للكلام فحسب . لقد كان حتى امس غائبا عن وعيه تقريبا . هل تصدق يا بورفير أنه كان امس لا يكاد يستطيع الوقوف على قدميه فلم نكد ندير له ظهورنا ـ زوسيموف وانا ـ حتى ارتدى ملابسه وتسلل دون ضجة ولاصخب ومضى تائها لست ادري الى اين حتى منتصف الليل . وهذا ـ واكرر القول ـ في كامل الهذيان ! فهل تستطيع ان تتصور مثل هذا الامر ؟ انه امر يثير الفضول !

فقال بورفير ، وهو يهز رأسه بحركة نسوية :

ـ ياه ! هل يكون قد عمل ذلك اثناء « الهذيان الكامل » !

فقال راسكولنيكوف ، وهو فريسة لغضب متزايد :

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ ان هذا فظيع .. لا تصدق كلمة مما يقول ! ثم انك لا تصدق شيئاً .

لكن بورفير لم يبد عليه انه اصغى الى تلك الكلمات الغريبة .

وعاد رازوميخين يقول بحماس فجائي :

ـ كيف اذن استطعت الخروج لو لم تكن تهذي ؟ لم خرجت ؟وماذا كانت غايتك ؟ ولم خرجت متسللا ؟ هيا .. هل تزعم انك كنت حينئذ في كامل قواك ؟ انني استطيع الان ان احدثك بصراحة بعد ان زال كل خطر !

فخاطب راسكولنيكوف بورفير وقد ارتسمت على فمه ابتسامة هازئة فيها تجد وقح :

ـ لقد قتلني الضجر البارحة ، ولقد فررت لافتش عن مسكن آخر استأجره كي لا يستطيع اكتشاف مكاني ، ولقد اخذت كل ما معي من نقود ، ولقد رآها السيد زاميوتوف ! هيا .. يا سيد زاميوتوف هل كنت متمالكا قواي البارحة ام انني كنت اهذي ؟ ان لك الان الكلمة الفصل في هذا الموضوع .

كان يود من صميم قلبه لو فتك في تلك اللحظة بزاميوتوف لان نظرته وسكوته كانا يسببان له ازعاجا كبيرا .

فاجاب زاميوتوف مصرحا بجفاء :

ـ رأيي انك كنت تتكلم باسلوب رصين ، بل وفي منتهى الحذق . مع ذلك فقد كنت سريع الغضب مفرطا فيه !

ورد بورفير بيتروفيتش بلهجة من يفحم خصمه بالرأي فقال :

ـ لقد ابلغني اليوم نيكوديم فوميتش انه صادفك البارحة في ساعة متأخرة جدا في مسكن موظف دهسته الجياد !

فهتف رازوميخين :

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ حتى . ولو لم تكن الا قضية هذا الموظف لكانت كافية ! هيا .. الم تتصرف كالمجانين في مسكن ذلك الموظف ؟ لقد اعطيت آخر ما معك الى ارملته لتقوم بدفع نفقات المأتم . فلو كنت تريد مساعدتها بتعقل لامكنك مثلا اعطاءها خمسة عشر او عشرين روبلا على الاكثر ، ولكنت احتفظت بثلاثة لنفسك . لكنك قذفت بكل روبلاتك الخمسة والعشرين!

ـ لعلني عثرت على كنز ما . فما يدريك انني استلمت لمثل هذا السخاء لهذا السبب ! خذ مثلا . ان السيد زاميوتوف لا يجهل انني عثرت على كنز !

ثم خاطب بورفير بيتروفيتش بشفتين مرتعدتين قائلا :

ـ ارجو ان تعذرنا لاننا اضعنا من وقتك نصف ساعة ونحن نحدثك باشياء على هذا القدر من التفاهة . اننا نزعجك أليس كذلك ؟

ـ عفوا أرجوك . بل العكس ! ليتك تعلم مبلغ ما تستأثر من اهتمامي ! انه لممتع ان يراقبك المرء وان يسمعك تتحدث . واعترف بأنني سررت جدا لانك قررت آخر الامر أن تتقدم بطلب استرداد !

قال رازوميخين :

ـ لكنك تستطيع على الاقل ان تقدم لنا الشاي ! ان حلقي جاف !

ـ فكرة رائعة ! ولسوف نشرب الشاي كذلك . لكن الا تتناول شيئا آخر قبل الشاي ؟

ـ هيا اذهب ! ..

وخرج بورفير بيتروفيتش ليأمر باعداد الشاي بينما كانت الافكار تتزاحم في رأس راسكولنيكوف وتصطخب ! لقد كان في حالة هياج وانفعال هائلين ! كان يخاطب نفسه قائلا : « الادهى في الموضوع أنهم لا يحاولون التستر او الخداع ولا يرتبكون مطلقا ! كيف يتحدث عني الى نيكوديم فوميتش وهو لا يعرفني ! ارى انهم لا يحاولون التستر

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

علي انهم ماضون في اثري كالكلاب ! انهم يقذفون في وجهي بما في رؤوسهم بصراحة ! .. لكن ماذا دهاكم ! امضوا بصراحة مباشرة بدلا من اللعب معي لعبة القط والفأر ! انها قلة ادب ، يا بورفير بيتروفيتش . ولعلني استطيع كذلك ان لا اسمح لك بها ! لسوف انهض واصفعك بالحقيقة كلها والقيها في « بوزك » وسترى كم احتقرك ! »ثم تمالك بمجهود واسترسل : « ولكن ماذا يكون لو انها كانت محض تصورات من قبلي ؟ نعم مجرد سراب ! ماذا يحدث لو أنني كنت مخدوعا من الاول حتى الاخر وانني انفعل لافتقاري الى التجربة وحاجتي الى امكانية الاضطلاع بهذا الدور الكريه ؟ لعله قال كل ذلك دون سوء نية ! ان كل مواضيعهم ليس فيها شيء غير عادي ! لكن لا شك ان هناك شيئا وراء هذا ! نعم لا شك . نعم ! لم قال مثلا بكل بساطة «عندها» . لماذا اضاف زاميوتوف قائلا انني كنت اتحدث « بدقة » ؟ ثم لماذا يحدثني بتلك اللهجة ؟ نعم .. انها اللهجة ! ان رازوميخين كان حاضرا معي فلم اذن لا يشك في شيء ؟ انه لا يشك في شيء ذلك الأخرق !.. آه .. ها هي ذي الحمى من جديد .. هل غمز لي بورفير بعينه منذ لحظات ام لا ؟ لقد كان ذلك ولا شك فظيعا .. لم يغمز لي بعينه ؟ هل يريدون ارهاق اعصابي والدفع بي الى آخر درجات الاحتمال ؟ اما ان يكون وهما واما ان يكونوا عارفين كل شيء ! حتى زاميوتوف نفسه يبدو مهينا في تصرفه ! لكن هل هو مهين حقا ؟ لعله امضى الليل مفكرا ... كنت اعرف انه سيفكر ! انه هنا كما لو كان في منزله ! مع ذلك فهذه هي المرة الاولى التي يتقابلان فيها ! ان بورفير لا يعتبره كزائر . انه يدير له ظهره وهو جالس . انهما متفقان ! لقد اتفقا على « موضوعي » ! لا شك أنهما كانا يتحدثان عني عندما وصلت . لكن هل يعرفان أنني ذهبت الى ذلك المسكن مؤخرا ؟ آه .. سوف اعرف ذلك بسرعة . عندما قلت انني فررت لافتش عن مسكن جديد لم يعر

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

هذه الجملة التفاتا .. نعم ، لقد تصرفت ببراعة اذ حشرت قضية المسكن الجديد لان ذلك قد يفيدني في المستقبل .. ! في حالة هذيان .. فكر قليلا . هاهاها ! انه لا يجهل شيئا مما وقع امسية البارحه ، ثم يجهل وصول امي ! آه تلك الساحرة ! لقد كتبت التاريخ بالقلم ! انك تكذب! لن استسلم لان هذه ليست بعد ادلة .. انها سراب ، أهذا ما تسمونه « الوقائع » والادلة ؟ ان زيارة المسكن نفسها ليست دليلا . انها تفسر بالهذيان ، انني أعرف ماذا يجب ان اقول لهم .. لكن هل يعرفون بما تم في ذلك المسكن ؟ لن اذهب قبل ان اتأكد من الامر ، لكن لم جئت ؟ حسنا ... ها انني على وشك الاسترسال في الغضب ، ان ذلك وحده يشكل دليلا . يوه ، كم انا سريع الغضب ، لكن لعل ذلك افضل ... سابقى في دوري كالمريض ! .. لسوف يرهقني ... ليجعلني افقد السيطرة على اعصابي .. لِمَ جئت ؟ »

مرت هذه الافكار في رأسه بسرعة البرق الخاطف .. وفي تلك اللحظة عاد بورفير بيتروفيتش بادي الانشراح وقال مخاطبا رازوميخين ببشاشة :

ـ يا عزيزي ... لقد كان رأسي ... بعد حفلتك امس ، ولا زلت حتى الان مبلبلا .

ـ طبعا لان الامر كان يستحق الاهتمام . ولقد تركتكم مساء امس في ادق المواقف ، من منكم انتصر أخيرا ؟

ـ شخصي الضعيف بالطبع . لقد ركبوا جميعهم اراءهم السخيفة وراحوا يركضون بها مسرعين .

فقال رازوميخين موجها حديثه الى راسكولنيكوف :

ـ تصور يا روديا انهم بدأوا النقاش حول هذه النقطة : « هل ثمة جرائم ام لا ؟ » لقد كانت فظيعة جدا تلك السخافات التي صدرت عنهم

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

في ذلك النقاش .

فقال راسكولنيكوف بصوت حالم :

ـ انها مع ذلك مسألة اجتماعية من اكثر المسائل شيوعا .

فاعترض بورفير قائلا :

ـ ان المسألة لم تكن محدودة على هذه الصورة .

فابدي رازوميخين موافقته وقد استسلم للتحمس على عادته وقال :

ـ لم تكن تماما كما قلت ، صحيح . انتبه ، يا روديا ... اسمع واعطني رأيك انني ألح على سماع رأيك ، وقد كنت اغلي في جلدي البارحة بانتظار حضورك ، وقد اخطرتهم بانك ستحضر . ان وجهة نظرهم معروفة وهي : الجريمة هي استنكار ضد التنظيم الاجتماعي السيء . هذا فقط ولا عذر آخر يقبلونه .

فصاح بورفير بيتروفيتش :

ـ لقد كذبت !

وكان بادي التيقظ لاينى يضحك وهو يراقب رازوميخين ، الامر الذي زاد في اثارة هذا الاخير .

فقاطعه رازوميخين ، وهو يتقد كشعلة نار :

ـ اي عذر آخر غير مقبول ! .. انا لا اكذب ! لسوف اضع امام عينك كل كتبهم . انهم لا يعترفون الا على ان كل شيء يصدر عن « الوجود الفاسد الوسط » ولا شيء غير هذا ... تلك هي جملتهم المفضلة . ومن ذلك يستنتجون انه اذا عمد الى اعادة المجتمع فان الجرائم ستختفي ! خطوة واحدة فقط ... لانه ليس يبقى عندئذ ما يحتج الانسان عليه . ولسوف يجد الجميع أنفسهم عادلين بمثل لمح البصر ! اما الطبيعة فليس لها حساب ! ان الطبيعة نفسها القي بها الى الباب ! لانهم لا يتقبلونها ! انهم لا يعتقدون ان هذه الاشياء مردها الى

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

الانسانية التي تتطور حسب الامتداد التاريخي « بشكل عنيف حي » ، بحيث سيمكنها اخيرا من تشكيل مجتمع خاضع للقانون ، مجتمع طبيعي! بل انهم يؤمنون بالعكس ... يؤمنون بلون او نظام اجتماعي ينبعث من دماغ رياضي ، يستطيع بلهجة واحدة ان ينظم الجنس البشري كله وان يجعله عادلا وغير قابل للخطأ . وانه افضل من اي نظرية تطور حيوي وأفضل من كل النظريات التاريخية والحية . ومن أجل هذا تراهم بغريزتهم يكرهون التاريخ لانه : « ليس فيه الا تشويهات وحماقات » على حد قولهم ! ولهذا السبب ايضا يكرهون اعظم الكراهية التطور « الحيوي » للحياة : غذاء الروح « الحية » ! ان الروح الحية لهما متطلباتها ، ان الروح الحية لا تخضع بشكل آلي ، ان الروح الحية متشكلة بطبعها ، ان الروح الحية مبدعة فاذا ماتت فانه لا يمكن ان نصنع واحدة من المطاط وهي بالطبع لن تكون حية لتكون وديعة تخدم ولا تتمرد ! كل هذا لكي نصل الى حيث قادونا لنؤمن بعدد من القرميد مقسم الى مماشي وغرف يطلقون عليها اسم « الفالانستري (١) » . ان هذا المأوى جاهز عندهم ولم يبقَ الا الطبيعة التي لا تتفق واياه . فهي تريد الحياة : انها لم تنته بعد من سنة التطور الحيوي وترى أنه لم يحن الوقت بعد لتدفن ! ان من المستحيل ان يقوم المرء بقفزة فوق الطبيعة مستعينا بالمنطق فقط ، ان المنطق يكشف عن ثلاث نقاط بينما هناك الملايين ! فلنحذف اذن تلك الملايين من النقاط لنقصر على مسألة الرفاه وحدها .. انها اسهل الطرق لحل المعضلة ! انه امر عظيم الوضوح حتى ليغري المرء بالاستسلام اليه ! لن تكون هناك حاجة الى التفكير . طبعا ان الامر الرئيسي هو انه لم تعد هناك حاجة الى التفكير ! كل اسرار الطبيعة يمكن ان تحصر وتحشر في ورقتين مطبوعتين !

---

(١) سيمكن الوحدة الاشتراكية !

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

فقال بورفير ضاحكا :

ـ هاها ! ... ها هو ذا قد انحل عقاله بالانفجار ! اقبضوا علـى ذراعه ! ... تصور يا راسكولنيكوف انه كان على هذه الحال امس وكان هذا الانفجار يقع في غرفة وحيدة تدوي فيها خمسة او ستة أصوات معاً. والادهى، أنه كان قبل ذلك قد أغرقنا في الشراب فتصور الموقف الان ! كلا يا صديقي .. انك على خطأ . ان «الوسط» على جانب عظيم في الجرائم : انني اؤكد لك ذلك !

ـ وانا اعرف ايضا انه ذو تأثير كبير . لكن قل لي بربك : ذلك الرجل الذي في الاربعين من عمره والذي ينتهك عرض فتاة في العاشرة من عمرها . هل هو الوسط الذي جعله يميل الى ذلك ؟

فاجاب بورفير بلهجة جدية مدهشة :

ـ بالمعنى الصحيح للكلمة ، يجوز ان نقول انه الوسط . ان انتهاك عرض فتاة يمكن ان يفسر بوضوح تحت تأثير « الوسط » .

كاد رازوميخين ان يثور من الغضب فقال مزمجرا .

ـ حسنا ... اذا شئت سأثبت لك فورا انه اذا كانت اهدابك بيضاء فان ذلك سببه ان برج جرس « سان جان كليماك » يرتفع الى علو مائتين وثلاثين قدما . ولسوف اثبت لك ذلك بوضوح ودقة ، بل وبشكل متحرر من المذاهب الدينية . لسوف استطيع ، فهل تقبل الرهان ؟

ـ اقبل . انني في شوق الى معرفة الوسيلة التي ستستخدمها لتصل الى ذلك الاستنتاج .

فصرخ رازوميخين :

ـ هيا ... انك لا تحسن الا التلاعب بالالفاظ . يا للشيطان !

ثم قفز من مكانه وقام بحركة فيها معنى التحدي ، وقال :

ـ هل يستأهل التحدث معك كل هذا العناء ؟ انه يلجأ الى هذا بناء

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

على خطة مرسومة ! انك لا تعرفه بعد يا روديا . لقد كان البارحة يؤيدهم لا لشيء الا ليزيد في هياجهم وجنونهم . والله يعلم ما هي النقاط التي استخلصها البارحة . اما هم فقد كانوا يهنزون طربا لسماعه .. انه قادر على السخرية خمسة عشر يوما متتالية ! لقد اوهمنا في العام الماضي بان في نيته ـ لسبب ما ـ ان يدخل في سلك الكهنوت . ولقد استمر شهرين يسخر منا على هذا الشكل . وحديثا خطر بباله ان يوهمنا بانه سيتزوج وان كل شيء قد اعد للحفلة . حتى انه اوصى على ثوب جديد . ولقد رحنا نهنئه ولم يكن ينقصه الا ... الزوجة الموعودة . كان كل شيء سرابا .

ـ ان هذا غير صحيح ! لقد اوصيت على الثوب اولا . ولقد خطر لي ان اسخر منكم قليلا عندئذ والفكرة نبتت في رأسي من الثوب الجديد .

فسأل راسكولنيكوف باهمال :

ـ هل حقيقة انك محب للسخرية الى هذا الحد ؟

ـ هل كنت تعتقد انني لم اكن ساخرا ... حسنا انتظر . لسوف اصطادك أنت الاخر . هاهاها ... ! كلا ... لسوف اقول لك الحقيقة . وعلى فكرة فان كل هذه المسائل : الجريمة والوسط والفتيات الصغيرات، لقد تذكرت في هذه اللحظة مقالا كتبته انت بعنوان « جريمة » او اي عنوان آخر مماثل ، لا اذكره ! ان هذا المقال اثار اهتمامي . ولقد كنت مجدودا اذ قرأته منذ شهرين في جريدة « البارول بيريوديك » (الكلمة الدورية) .

ـ مقالي ؟ في هذه الجريدة ؟ آه صحيح . لقد كتبت مقالا منذ ستة اشهر عندما خرجت من الجامعة لكنني ارسلته الى « البارول هيبدومادير » ... (الكلمة الاسبوعية) .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ حسنا ، ولكنه آل الى جريدة (الكلمة الدورية) .

ـ لكنهم لم ينشروها في ذلك الحين لان تلك الجريدة توقفت عن الصدور ...

ـ صحيح لقد توقفت عن الصدور ولكنها انضمت الى الجريدة الاخرى ، ولهذا السبب ظهر مقالك منذ شهرين في الجريدة الاخيرة . ألم تكن تدري بذلك !

كان راسكولنيكوف يجهل هذا التفصيل فاسترسل بورفيريتوفيتش:

ـ انك تستطيع استغلال مقالك ماديا ... يا للعقلية الغريبة التي عندك ! انك تعيش في وحدة عجيبة حتى انك لا تلاحظ الاشياء التي تهمك اهمية وثيقه .. ان هذه ملاحظة دقيقة !

فهتف رازوميخين :

ـ مرحى يا روديا ، وانا ايضا كنت اجهله .. لسوف اهرع اليوم بالذات الى مكتب القراءة لاطلب هذا المقال ! لقد مضى على ظهوره شهران ؟ اي تاريخ على الضبط ؟ حسنا هذا لا يهم ، لسوف ابحث ... تلك هي نكتة طيبة ! ولا يعترف بها !

ـ ولكن كيف استطعت أن تعرف بأن المقال لي ، وأنا لم اوقع عليه الا بالاحرف الاولى ؟

ـ مجرد الصدفة ! كان ذلك منذ ايام وقد عرفته بواسطة المدير الذي لي به بعض الصلة . لقد اجتذب مقالك كل اهتمامي .

ـ اذكر أنني كنت احلل فيه الحالة النفسية لقاتل خلال مراحل جريمته .

ـ وكيف ! لقد كنت تبرهن على ان ارتكاب الجريمة ترافقه دائما حالة مرضية ! انها وجهة نظر مبتكرة ، جديدة تماما ! لكن ليست هذه الناحية من المقال هي التي استلفت انتباهي .. هنالك فكرة ما اوردتها في نهاية المقال لم تعن بايضاحها عناية جيدة لسوء الحظ ، بل اقتصرت

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

على التلميح اليها تلميحا غامضا . والخلاصة ـ اذا كنت تذكر ـ فانه بحسب فكرتك تلك فانه سيكون هناك بعض الاشخاص الذين يستطيعون اعني لا يستطيعون فحسب بل ان لهم كل الحق في ان يرتكبوا اي لون من الاعمال المخلة ومن الجرائم ، وان القانون بالنسبة اليهم لا وجود له !

ابتسم راسكولنيكوف لذلك التفسير الاختياري الغادر لفكرته ، بينما هتف رازوميخين بشيء من الخوف :

ـ كيف ؟ ماذا ؟ الحق في ارتكاب الجريمة ؟ لعلك تقول ان ذلك ايضا نتيجة « لتأثير الوسط » ؟

فقال بورفير بيتروفيتش :

ـ كلا كلا ان الامر ليس هكذا تماما . المسألة هي انه في مقاله قسم الناس الى نوعين : مخلوق « عادي » ومخلوق « غير عادي » . وفرض على « اولئك » ان يعيشوا مطيعين دون ان يعطيهم الحق في تجاوز القانون وخرقه لانهم كما ترى مخلوقات عادية ، اما الاخرون فان لهم الحق في ارتكاب الجرائم وخرق كل قانون لمجرد كونهم مخلوقات غير عاديين ! أليست هذه فكرتك ، ام ترانى مخطئا ؟

فغمغم رازوميخين :

ـ كيف ذلك ؟ لا يعقل ان تكون كذلك !

بينما عاد راسكولنيكوف من جديد الى ضحكته الساخرة . فهم للوهلة الاولى الهدف الذي يقصده بورفير وعرف ما يريد أن ينتزع منه ! كان يذكر مقاله لذلك فقد قبل التحدي . فشرع يقول ببساطة واعتدال :

ـ ليس الامر كذلك تماما . غير انني أعترف على كل حال بأنك فسرت فكرتي بأمانة تقريبا ، بل لنقل انك فسرتها بأمانة تامة ! (لقد

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

كان يسره الاعتراف بأن تلك الفكرة فسرت بأمانة) . انما الفرق كل الفرق هو في أنني لا ألح أبدا على أن يكون الاشخاص غير العاديين مدعوين الى ارتكاب كل الاعمال المخلة وفي كل مناسبة كما فسرت الامر . لو كان ذلك صحيحا لحذفت المراقبة المقال ولمنعته ! لقد برهنت أو أبرزت ببساطة أن الرجل غير العادي ، ولنقل المتفوق ، له الحق — ولا أقصد الحق الرسمي — بل أنه له الحق شخصيا أن يسمح لوجدانه بتخطي ... بعض العقبات ، وبصورة خاصة في الحالات التي يقتضيها تنفيذ فكرته التي يتوقف عليها انقاذ الجنس البشري كله .

انك تزعم أن مقالي كان ينقصه الوضوح وأنا على استعداد لتفسيره لك في حدود الممكن ! انني لا أخطىء اذا افترضت أن تلك هي رغبتك كما يبدو ! حسنا ... انني رهن أوامرك : « أنا أرى أن اكتشاف كيبار (١) ونيوتن مثلا اذا قدر لها لسبب من الاسباب أن لا تتم الا بتضحية حياة رجل أو عشرة رجال أو أكثر من المائة رجل الذين أرادوا مثلا أن يحولوا دون ظهورها أو أن يعترضوا سبيلها ، فان لنيوتن عندئذ الحق ، بل أن من واجبه ، أن يزيح هؤلاء العشرة أو المائة من الرجال ليهبي اكتشافاته الى البشرية ! غير أن ذلك لا يعني بالمقابل أن لنيوتن — بموجب هذا — الحق في أن يفتك بكل من يريد أو أن يسرق كل يوم في الاسواق ! ثم انني أذكر انني شرحت هذه الفكرة في مقالي بما يلي :

« ان كل — ولنسمهم — المنشئين ، البناة ، المشرعين لخير الانسانية،

---

(١) فلكي الماني ولد عام ١٥٧١ وتوفي عام ١٦٣٠ ، اخرج عدة مؤلفات هامة اهمها « قوانين كيبلر » التي استطاع نيوتن بفضلها استنباط نظرية الجاذبية — المترجم — .

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ابتداء من أقدم القدماء منهم من: ليكرك (١) Lycurgue وسولون (٢) Solon ونابوليون الخ ... كلهم كانوا قتلة رغم أنهم بدون ذلك ما كانوا ليستطيعوا ابداع قانون جديد . فقد عمدوا جميعهم الى فسخ القوانين القديمة التي كانت مقدسة من قبل المجتمع وموروثة عن الاقدمين . واضطروا لبلوغ غاياتهم أن يهدروا الدم فلم يتراجعوا عندما أصبح ذلك الدم — رغم أنه كان دم بريء أحيانا يسفح فداء للعقيدة السابقة — يسهل مهمتهم . وينبغي كذلك أن نلاحظ أن معظم هؤلاء المحسنين وبناة الانسانية كانوا وحوشا دمويين بصورة خاصة . ومن هنا نستنتج أنهم جميعا — ولا أقول الكبار منهم — كانوا مستعدين بطبيعتهم لأن يكونوا قتلة على شكل ما لمجرد أنهم كانوا أعلى من الوسط ، أي لمجرد أن أتوا بشيء جديد ! كان عسيرا عليهم أن يرتفعوا عن الوسط بغير هذا الاسلوب ، ولم يكونوا ليرتضوا البقاء فيه وذلك نظرا لاستعدادهم الطبيعي . واني أرى أنه كان من واجبهم أن لا يبقوا في الوسط . والخلاصة انك ترى أنه لا يوجد شيء جديد جدا حتى الآن في كل هذا !

أما فيما يتعلق بتقسيمهم الى أشخاص عاديين وغير عاديين فانني أوافقك على أنها فكرة غير مدروسة تماما لكنني لم أذكر أرقاما دقيقة . وأنا لا أؤمن الا بوجهة نظري الرئيسية . وهي تقوم على أساس أن المخلوقات بحسب قوانين الطبيعة ينقسمون بصورة عامة الى قسمين : القسم الاول وهم المرؤوسون ، أولئك الذين لا يصلحون الا ليكونوا

---

(١) ليكرك : شخص اعتبر مشرع سبارطه ، طاف في بلاد كثيرة وعاد بتجاربه وملاحظاته فوضع قوانين وطنه . عاش — بحسب الاسطورة — في القرن التاسع قبل الميلاد . — المترجم — .

(٢) مشرع لثيناوواحد من حكماء اليونان السبع ٦٤٠ — ٥٥٨ قبل الميلاد . كان ذو فضل عميم على مواطنيه من الناحية التحريرية — المترجم —

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

« مادة » تصلح فقط للتزاوج واكثار النسل ، أما القسم الثاني ، فهو الموهوبون الذين أعطوا ميزة النطق في وسطهم « بكلمة من جريدة ». هنالك ولا شك تقسيمات ثانوية عديدة جدا ، ولكن الخطوط الايضاحية لهذين القسمين حاسمة تماما . القسم الاول ، أي قسم « المادة »، يضم في عداده أولئك المحافظين بالفطرة ، المطيعين الخاضعين الذين يسرهم أن يحيوا في الطاعة ، فهم ــ على ما أرى ــ مدعوون الى الطاعة لأن ذلك هو مصيرهم الذي لا يجدون أية غضاضة فيه . أما القسم الثاني، المنشئون ، فانهم جميعا يخرقون القانون ، كلهم مدمرون أو أن لديهم استعدادا ليكونوا كذلك ، بحسب ميزاتهم واستعداداتهم . فجرائم هؤلاء الرجال هي ولا شك تابعة لآرائهم وأهدافهم ومتعددة الاشكال، غير أن معظمهم يتطلبون بواسطة وسائل متفرقة متعددة تهديم الحاضر بأسم شيء أفضل . فاذا اقتضى الأمر واحدا منهم أن يمر فوق جثة أو نهر من الدماء فانه ــ بحسب وجهة نظري ــ يقرر بكل راحة ضمير المرور فوق ذلك النهر من الدماء في سبيل فكرته وبموجبها فقط ــ ولاحظ هذا الشرط ــ .

لقد قلت في مقالي ان الرجال لهم الحق في أن يتقتلوا على هذا الاساس وفي هذا الاتجاه . انك تذكر بأننا بدأنا بحثنا من نقطةفضائية (شرعية) . ثم انه ليس هناك من الاسباب ما يدعو الى كثير من الاستفسار ! لأن سواد الشعب ــ غالبا ــ لا يعترف لهؤلاء بهذا الحق بل انه يعذبهم ويقتلهم ــ على شكل من الأشكال ــ وهو في هذا يعمل استنادا الى حقه لأن السواد الاعظم من الشعب ، ولنقل « المجموعة »، تنجز بهذا العمل مهمتها كمجموعة محافظة رغم أن تلك المجموعة بالذات ترفع عادة في الاجيال المقبلة التماثيل لأولئك الذين عذبتهم وقتلتهم ، وتحرق البخور أمام تماثيلهم باكية (على شكل من الأشكال أيضا).

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

رغم هذا كله فان القسم الأول هو القسم السيد ، سيد الحاضر دائما ، وأما القسم الثاني فانه سيد المستقبل ! فأولئك يحافظون على زيادة الكمية العددية في العالم ، وهؤلاء يحركون العالم ويوجهونه نحو الهدف . ولهؤلاء كل الحق في الحياة . وبكلمة موجزة فان لكل في نظرياتي حقا متساويا وستبقى الحرب سجالا أبدا ، حتى ايجاد أورشليم جديدة ! فهل تجد كلامي واضحا ؟

ـ هكذا اذن تؤمن بأورشليم جديدة !

فأجاب راسكولنيكوف بصوت حازم :

ـ انني أؤمن ...

كان راسكولنيكوف خلال الوقت الذي استغرقه شرح نظريته مطرقا بعينيه الى الأرض شاخصا ببصره الى نقطة ما على السجادة .

ـ و ... هل تؤمن بالله ؟ اعذرني اذا سألتك هذا السؤال المتطفل ...

فكرر راسكولنيكوف قوله ، وهو يرفع عينيه الى بورفير :

ـ أؤمن !

ـ وهل تؤمن بقيام ألعازار ؟

ـ أنا ... انني أؤمن ! لم تطرح علي هذه الأسئلة !

ـ هل تؤمن بذلك حرفيا ؟

ـ حرفيا ...

ـ اسمح لي أن أعود اذن مجددا الى ما كنت تقوله ... انه لمجرد الفضول . ألا تجد أن هناك بعضا من السادة لا يرسلون دائما الى الموت والعذاب بل على العكس ...

ـ تقصد أنهم يشهدون نتيجة أعمالهم في حياتهم ؟ آه نعم لربما بعضهم يبلغ هذا الظفر في حياته ! لكن في هذه الحالة ...

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ انهم هم أنفسهم الذين يرسلون الآخرين الى الموت ؟

ـ عندما يقتضي الأمر ذلك فان غالبيتهم تنهج على هذا الشكل. ان ملاحظتك لا تخلو من الدقة !

ـ أشكرك . لكن قل لي كيف يمكن التمييز بين الرجل العادي والرجل غير العادي ؟ هل يلدون وفي أجسادهم علامات مميزة ؟ أريد أن أقول انه ينبغي هنا بعض التحديد أو على الأقل علامات خارجية مميزة ! أرجو أن تعذر هذا الاهتمام الطبيعي في الموضوع لدى رجل عملي حسن القصد . لكن أردت أن أقول : هل ينبغي هنا أن يلبس مثلا لونا خاصا من الثياب أو أن يحمل طابعا خاصا مميزا ؟ لأنه ـ وأعتقد أنك توافقني ـ اذا بقي الامر مختلطا فان أي رجل عادي من هذه الفصيلة سوف يعتقد أنه يمت الى الفصيلة المفضلة ، وعندئذ لسوف يعمل « حذفا » و « ازاحة » في العوائق كما شرحت بجلاء وصفاء منذ قليل. وعندئذ ...

ـ صحيح ! أن هذا يحدث غالبا ! ان هذه الملاحظة أكثر دقة من الأولى .

ـ أشكرك .

ـ العفو ! لكن أرجو أن تلاحظ بأن الخطأ لا يمكن وقوعه في هذه الحالة الا من فصيلة الرجال العاديين كما أسميتهم ، اذ أنهم على الرغم من انحرافهم النظري نحو الطاعه فان عددا منهم ـ بفعل ميل طبيعي لا تخلو منه حتى البقرة ـ قد يميل الى اعتبار نفسه من الرجال المتقدمين « الهدامين » ، ويستمرون في البحث عن « الكلمة الجديدة » . الامر الذي يؤدونه باخلاص عميق . وانه ليحدث بينهم غالبا ألا يلاحظوا أولئك الذين يمكن تسميتهم « بالمبدعين » فيحتقرونهم وكأنهم أشخاص متأخرون ذوو تفكير منحط . لكنني أرى أنه لن يكون في ذلك خطر

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

شديد ، فلا تبتئس لأنهم غالبا لا يقطعون شوطا بعيدا ! صحيح أنه يجوز في بعض الحالات أن يتعرضوا للجلد بسبب اندفاعهم ليعادوا الى أمكنتهم ، ولكن ليس أكثر من هذا خصوصا وأنهم ليسوا في حاجة الى من يتكفل بجلدهم • فهم على استعداد لاعطاء أنفسهم السوط لانهم اشخاص شديدو التمسك بالاخلاق والمثل ، حتى أن بعضهم يؤدي تلك « الخدمة » الى البعض الآخر هذا اذا لم يقم بها بنفسه • ثم انهم يحتملون عدا عن هذا عقوبات علنية عديدة تجعلهم متحفظين جذرين • والخلاصة لا أجد سببا لقلقك ••• ذلك هو القانون •

ـ حسنا • لقد طمأنتني من هذه الناحية على الاقل • ولكن ثمة بلاء آخر • قل لي أرجوك : أهم عديدون أولئك الذين يحق لهم ذبح الآخرين ، أقصد أولئك « غير العاديين » ؟ انني بالطبع على استعداد للانحناء أمامهم ، لكنك لا تستطيع الا أن توافقني بأن كثرتهم تحدث ريبا في النفس وبرودة في الظهر •

فأجاب راسكولنيكوف بلهجة مماثلة :

ـ لا تكتئب من أجل هذا أيضا اذ أنه على العموم لا توجد كثرة من الرجال الذين لديهم « فكرة جديدة » أو الذين يستطيعون النطق بشيء « جديد » • انهم قلة بشكل غريب • انما هناك شيء واضح ، ذلك هو أن نظام ولادة الاشخاص في كل هذه الفصائل والاقسام ينبغي أن يكون موضحا بشكل دقيق لا يقبل الخطأ بواسطة قانون طبيعي • وهذا القانون ـ كما لا شك يعتقد ـ هو في الوقت الحاضر مجهول • لكنني أؤمن بوجوده وبأنه سيصبح معروفا في المستقبل ! ان على هذه الارض كتلة هائلة من الناس لم تخلق الا لتنجب للعالم رجلا واحدا يملك شيئا قليلا من الاستقلال • وهي ـ هذه الكتلة ـ تجهد نفسها في سبيل ذلك بحسب نظام تطوري غامض حتى الآن وبواسطة اشتباك

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

معين في الأصول والانواع . أما أولئك الرجال الذين هم على درجة عالية من الاستقلال فانهم لا يخلقون الا بمعدل واحد الى عشرة آلاف، والنسبة هنا فرضية . أما الأرفع مكانة من هؤلاء فواحد الى مائة ألف. والعباقرة موزعون بين ملايين من الرجال العاديين أما أولئك العباقرة العظام الذين هم تاج الجنس الانساني فانهم واحد الى ألف مليون بل ولعل العالم ينتهي قبل أن يولد واحد من هذا النوع . والخلاصة انني لم أنظر في تلك البوتقة التي يصنع فيها كل هؤلاء . لكن هناك ولا شك من هم على هذا الغرار . وينبغي أن يكون هناك قانون محدود وعندئذ لن يكون للصدفة وجود .

هتف رازوميخين :

ـ رباه ! لا شك أنكما تمزحان ! هل أنتما في سبيل الهزء على بعضكما ؟ هل تتحدث جديا ، يا روديا ؟

ران السكوت ورفع راسكولنيكوف الى صديقه وجها شاحبا حزينا ولم يجب ، والى جانب ذلك الوجه الهادىء المتألم بدا لرازوميخين أن لهجة بورفير كانت تحمل تحديا صريحا واستثارة غريبة و « قلة أدب » .

وعاد رازوميخين يقول :

ـ حسنا ، يا عزيزي . اذا كان هذا جديا فانك على حق ولا شك اذ تقول ان ليس في هذا شيء جديد ، وانه يشبه ما قرأناه وسمعناه ألف مرة . بيد أن الجديد كل الجدة في هذا الموضوع والذي لا يمكن أن يكون لسواك والذي أنظر اليه برهبه هو تقريرك بأنه من الحق اهراق الدم بكل « راحة ضمير » ، الأمر الذي تقرره ـ واسمح لي أن أقول ـ بكل تعصب . انني في ذلك على ما أعتقد الفكرة الرئيسية لمقالك : ذلك السماح بسفك الدم « بكل راحة ضمير » ... يبدو لي أكثر فظاعة

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

مما لو كان سماحا رسميا قانونيا .

فأجاب بورفير :

ـ صحيح تماما . انه أشد فظاعة .

وصرخ رازوميخين منفعلا هائجا :

ـ كلا لقد شططت كثيرا . سوف أقرأ ... لقد شططت كثيرا ، لا يمكنك أن تفكر في هذا ... لسوف أقرأ المقال .

فأجاب راسكولنيكوف مهدئا صديقه :

ـ لايوجد شيء في المقال من هذا كله . ان ما فيه ليس إلا مجرد تورية .

فقال بورفير على الفور :

ـ نعم ، نعم . أستطيع الآن تقريبا أن أرى بوضوح الطريقة التي تتصور بها جريمة ... أرجو أن تعذر الحاحي ، فانني أرهقك كثيرا ، وانني لجد آسف ... لكن أرى أنك منذ قليل طمأنتني كثيرا فيما يتعلق بالاختلاط الذي يمكن أن يقع بين الفئتين . لكن هناك مع ذلك بعض الحالات التي تقلقني خشية أن تخرج هي الأخرى الى الحيز العملي . لنفرض مثلا أن رجلا أو شابا تصور أنه ليكرك ـ مستقبلا بالطبع ـ وأنه راح فورا يزيل العقبات التي تعترض سبيل القيام بمهمته فيحدث نفسه بقوله : « يجب علي أن أنجز مهمة شاقة طويلة وعليه يجب أن تزود هذه المهمة بالمال » . وعندئذ يأخذ في تدارك ذلك المال . وأنت ولا شك تتصور الآن بأي شكل ، فماذا تقول في ذلك ؟

لم يكد بورفير يبلغ هذه النقطة من حديثه حتى صدرت عن زاميوتوف وهو في زاويته حركة تلفت النظر ، غير أن راسكولنيكوف لم يعن حتى بالالتفات اليه بل أجاب بلهجة هادئة :

ـ ينبغي أن أعترف بأن حالات كهذه قابلة الوقوع . ان الاخفاء

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

والمغرورين هم غالبا الذين يبتلعون هذا الطعم وبصورة خاصة الفتيات الشبـاب .

ـ أرى أنك قد فهمت الأمر . وعندئذ ؟

فتضاحك راسكولنيكوف وقال :

ـ وعندئذ ؟ انها ليست خطيئتي . إن ذلك واقع وسيقع دائما .

ثم أشار الى رازوميخين وقال :

ـ انظر الى هذا . لقد قال لي منذ قليل بأنني سمحت بأراقة الدم ولكن هل المجتمع غير محمي بالنفي والسجون و « الليمانات » وقضاة التحقيق حماية كافية ؟ لم الاكتئاب اذن ؟ « سيروا في أثر السارق » ..

ـ واذا قبضنا عليه ؟

ـ يكون قد استحقها عندئذ .

ـ انك منطقي على الأقل . ولكن ماذا يهمك وجدانه ؟

ـ وماذا يهمك من هذا ؟

ـ انه سؤال أملاه شعور انساني .

ـ على ذلك الذي يمتلك وجدانا أن يتعذب اذا كان يعترف بخطئه . انه عقاب اضافة الى عقاب الأشغال الشاقة .

فسأل رازوميخين ، وهو يقطب حاجبيه :

ـ لكن ... الرجال العباقرة . أولئك الذين أعطي لهم حق القتل لا ينبغي لهم أن يتألموا مطلقا حتى ولو أراقوا الدم . أليس كذلك ؟

ـ لم هذه الكلمة « لا ينبغي لهم » ؟ ليس هناك سماح ولا منع . ليتألم ذلك الذي يشفق على ضحيته ! ان الألم اجباري بالنسبة لضمير كبير وقلب عميق . ان على الرجال العظام ـ على ما يبدو ـ أن يتألموا على الأرض ألما شديدا .

نطق راسكولنيكوف بهذه العبارات الأخيرة وهو صامم وبلهجة

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

فريدة لم تصدر عنه منذ بدء الحديث . ورفع عينيه ونظر الى محدثيه وعلى وجهه مسحة من الاستغراق ثم أخذ قبعته في يده. كان هادئا جدا بالنسبة للطريقة التي دخل بها أول مرة منذ قليل ، وكان يشعر بذلك شخصيا فنهض الحاضرون جميعا وقال بورفير بيتروفيتش بلهجة من يختتم حديثا :

ـ سواء شتمتني أم لم تشتمني ، وسواء غضبت أو لم تغضب ، فان ذلك كان أقوى من أن أستطيع كبته . وانني ـ اذا سمحت ـ لا زلت أحتفظ بسؤال صغير رغم أنني أضايقك : أحب أن أعرض فكرة صغيرة خشية أن أنساها .

فأجاب راسكولنيكوف بلهجة خطيرة ، وهو شاحب الوجه :

ـ حسنا ، قل فكرتك الصغيرة ...

ووقف أمام قاضي التحقيق وقفة المنتظر .

ـ حسنا ... الحقيقة أنني لست أدري كيف أعبر عن رأيي بالشكل الافضل ... انها فكرة قريبة من المجون ... فكرة « بسيكولوجية » ... أردت أن أقول : عندما كنت تدبج مقالك ، ألم يحدث مثلا أن اعتبرت نفسك رجلا غير طبيعي تحمل « كلمة جديدة » في المعنى الذي تفهمه ؟ ألم يحدث ذلك ولو لفترة وجيزة ؟

فأجاب راسكولنيكوف باحتقار :

ـ محتمل جدا .

ولم يتمالك رازوميخين نفسه آنئذ من اظهار انفعاله بالحركة ، بينما أضاف بورفير بيتروفيتش :

ـ لئن كان كذلك . ألا يمكن أن تكون ـ بسبب اصلاح بعض العثرات الشخصية أو التخلص من الارتباك أو مثلا لزيادة سرعة سير الانسانية الى الامام ـ أردت أن أقول ألم يحدث لك لهذه الاسباب أن

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

تكون قد قررت تخطي العقبة ؟ مثلا القتل والسرقة ؟

وفجأة غمز بعينه اليسرى وضحك ضحكة مكتومة كما وقع منه منذ قليل تماما . فرد راسكولنيكوف بلهجة احتقار متعالية وبتحد :

ـ لو أنني اجتزت العائق لما كنت أحدثك عن اجتيازي له بالطبع .

ـ طبعا كلا ! ان شيئا واحدا يثير اهتمامي في كل هذا ، وهو طريقة تفسير مقالك من وجهة نظر أوروبية بحتة .

راح راسكولنيكوف يخاطب نفسه بقوله : « يبدو لي ان الغاية واضحة تماما » . ثم أجاب بصوت مرتفع قائلا :

ـ اسمح لي أن ألفت نظرك الى أنني لا أعتقد في نفسي أنني نابليون ، حتى ولا أي شخص من هذا الطراز . وعلى ذلك ، وبما أنني لست واحدا منهم ، فانني لا أستطيع اعطاءك جوابا مقنعا عن الطريقة التي أسلكها .

فأجابه بورفير بلهجة أليفة جدا :

ـ هيا واسمح لي ! من منا في روسيا الآن لا يعتقد نفسه نابليونا ؟

كان في تلك الجملة شيء خاص واضح يمكن ادراكه من اللهجة التي قيلت بها ، خصوصا حينما قال زاميوتوف دون أن يبارح زاويته :

ـ أو ليس نابليونا « مستقبلا » ذلك الذي ذبح في الاسبوع الماضي آليونا ايفانوفنا ؟

صمت راسكولنيكوف وحدق في وجه زاميوتوف بنظرة حازمة ثابتة بينما اشتد انفعال رازوميخين ... لقد بدأ هذا يلاحظ منذ لحظة قصيرة أن في الجو شيئا ، لذلك فقد أخذ يجيل فيمن حوله نظرة غاضبة وقد خامره الشك فيما ينوون . ومضت دقيقة من سكون مخيف ابتدأ راسكولنيكوف بعدها يحاول الخروج .

هتف بورفير بوداعة وهو يمد يده بتودد عظيم

CVISION TECHNOLOGIES
PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ أتذهب اذن ! لقد كنت سعيدا جدا جدا بالتعرف اليك . أما فيما يتعلق بطلب الاسترداد فلا تشكن في أنه لن يكون ذا نتيجة مرضية . فقط اكتب في المعنى الذي بينته لك ، أو من الافضل أن تأتي لزيارتي بنفسك يوما ما . ولنقل غدا مثلا . وساكون هنا في الساعة الحادية عشرة . ولا شك أننا سنرتب كل هذا وسنتحدث .. وباعتبارك واحدا من الذين كانوا آخر من ذهبوا الى « هناك » ، فلعلك اذا تستطيع أن تحدثنا بشيء ...

كان بورفير يتحدث ببراءة الطفل . لكن الغاية لم تفت على راسكولنيكوف ، فقال بجفاء :

ـ انك تريد استجوابي رسميا متخذا كل الاجراءات المرعية ؟

ـ لِمَ بالله ؟ أنا لا أرى داعيا لذلك في الوقت الحاضر . انك لم تحسن فهمي . ألا فاعلم أنني لا أترك فرصة تسنح لي تفلت مني . واني تحدثت حتى الآن مع جميع الذين أودعوا أشياء قيد الرهن . ولقد استطعت اقتطاف بعض الدلالات من أقوال بعضهم . وعلى ذلك فانك الاخير . وعلى فكرة لقد تذكرت . يا للرأس التي أحملها !

وانفجر ضاحكا بسرور عميق ، واستدار نحو رازوميخين ، وأضاف :

ـ انك تذكر ذلك الـ « نيكولاشكا » الذي صدعت أذني بشأنه . حسنا انني أعرف شخصيا بل انني متأكد (وهنا استدار الى راسكولنيكوف) أن هذا الفتى بريء . لكن ما العمل ؟ لقد اضطرنا الى ازعاج ميتكا أيضا . والآن هذا ما كنت أود أن أقوله : عندما صعدت السلم آنذاك ... اسمح لي ... ألم يكن ذلك حوالي الساعة الثامنة ؟

ـ حوالي الساعة الثامنة !..

لكن راسكولنيكوف شعر فجأة باستياء من نفسه لأنه كان

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

يستطيع أن لا يجيب بتلك الاجابة .

ـ اذن عندما كنت تصعد السلم حوالي الساعة الثامنة ، ألم تر في الطبقة الثانية وفي مسكن مفتوح الباب ، أتذكر ؟ ألم ترَ عاملين أو على الأقل واحدا منهما ؟ لقد كانا في ذلك الحين يطليان الجدار ، فهل لاحظتهما ؟ ان هذا عظيم الاهمية بالنسبة اليهما !

فأجاب راسكولنيكوف بلهجة من يبحث في ذاكرته :

ـ عمال دهان ؟

كان يستجمع كل وجوده ويتألم عظيم الألم وهو يحاول أن يكتشف مكان الفخ المنصوب في هذا السؤال . وفجأة اقتضح الشرك فعرفه واسترسل يجيب :

ـ كلا ! انني لم أرَ أحدا كما أنني لم ألاحظ وجود مسكن مفتوح الباب . لكنني شاهدت في الطبقة الرابعة موظفا يخلي مسكنه . كان مسكنه قبالة مسكن آليونا ايفانوفنا . نعم انني أذكر ذلك بشكل واضح جدا ، لان بعض الجنود كانوا ينقلون الأثاث واضطروني الى الالتصاق بالجدار كي يتاح لهم المرور . أما العمال الذين تتحدث عنهم فانني لا أذكر وجودهم . وأعتقد أنه لم يكن هناك مسكن مفتوح أبدا ، كلا ! لم يكن ...

وهتف رازوميخين كما لو أنه فهم الأمر فجأة :

ـ لكن ماذا دهاك ؟ ان العمال كانوا يدهنون في يوم الجريمة بالذات . أما هو فقد كان هناك قبل ذلك ! فما هو السؤال الذي تسأله ؟

هتف بورفير ، وهو يضرب جبهته بيده :

ـ هيه ! لقد اختلط علي الامر ... ليحملني الشيطان ... ان هذه القضية تفقدني العقل .

ثم استدار نحو راسكولنيكوف وقال وكأنه يعتذر

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ اننا نهتم جدا بمعرفة ما اذا كان أحد قد شاهد ذينك العاملين حوالي الساعة الثامنة في ذلك المسكن . ولقد أجهدت نفسي في محادثتنا هذه حتى اختلط عليَّ الامر . ولعلك تدرك ذلك .

فأجابه رازوميخين بلهجة ناقمة :

ـ كان ينبغي أن تكون أكثر انتباها .

نطق رازوميخين بهذه الكلمات بينما كان وصديقه وراء باب المسكن الخارجي . ورافقهما بورفير بيتروفيتش اليه ببشاشة ، غير أنهما كانا عابسين منفعلين حتى استمرا يمشيان في الشارع بضع خطوات قبل أن ينطق أحدهما بكلمة . وبعدئذ تنفس راسكولنيكوف الصعداء ...

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

كان رازوميخين قلقا مشتت الفكر يحاول بكل قواه أن ينقض استنتاجات راسكولنيكوف، فكان يقول ويقرر : « لا أظن ذلك ، لا أظن ذلك » . وكانا في تلك الأثناء قد بلغا منزل باكاليف المؤثث حيث كانت بولشيري ألكسندروفنا تنتظرهما منذ زمن طويل . وكان رازوميخين يتوقف في حمى النقاش بين لحظة وأخرى وهو فريسة اضطراب وانفعال كبيرين سببهما ذلك الحديث الصريح الذي سمعه منذ لحظات، والذي لا يخلو من شك قريب من الاتهام. وكان راسكولنيكوف يجيبه بضحكة باردة حائرة :

ـ حسنا ! لا تصدق ! انك حسب عادتك لا تلاحظ شيئا ، أما أنا فانني كنت أزن كل كلمة .

ـ ذلك لأنك كثير الشك ولهذا السبب كنت تزن الكلمات . هم! في الحقيقة ـ وأعترف لك ـ ان لهجة بورفير كانت غريبة وعلى الاخص ذلك الصعلوك زاميوتوف . انك على حق . أما ما هو السبب فذلك ما لا أعلمه . لكن لم ؟ لم ؟

ـ لعله غير رأيه أثناء الليل .

ـ لكن على العكس ، على العكس ... اذا لو أن هذه العرجاء كانت تحوم في رؤوسهم لكانوا عملوا ما في وسعهم لاخفائها بكل الوسائل ... كانوا أخفوا لعبتهم بانتظار الوقوع على آثار أخرى . ولكنهم الآن يمضون في طريقهم بصفاقة ودون أية حيطة !

ـ لو كانت لديهم وقائع ، أقصد وقائع حقيقية أو على الاقل شكوك ترتكز على شيء من الصحة ، لعملوا ما في وسعهم على اخفاء

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

لعبتهم مؤملين الاستزادة من الادلة ، بل لعلهم قد بدأوا منذ أمد طويل الى إجراء تفتيش . لكن ليس لديهم دليل واحد . ان كل هذا خيالي بحت لا رأس له ولا ذنب ولا يستند على شيء ، ولذلك فانهم يجهدون أنفسهم بالنيل مني بالصفاقة . ولعله هو نفسه ساخط لعدم وجود الادلة لذلك لم يستطع كبت التحدي فأعلنه . ويجوز أيضا أن تكون لديه بعض النوايا الخفية ، فهو رجل ذكي ولعله كذلك أراد أن يخيفني بتصنع المعرفة ... ان ذلك عنده مسألة نفسانية يا عزيزي . وانني لأجد أن التماس التفاسير أمر مناف لذلك فلندع الامر حيث هو ...

ـ ولكن ذلك مهين ، مهين ، انني أفهمك ... لكني سأعترف لك بوضوح طالما أننا نتحدث بصراحة ـ وانني لسعيد اذ بلغنا هذه المرحلة ـ أعترف لك بأنني منذ زمن طويل لاحظت هذه الفكرة عندهم ، ولكنها كانت بالطبع لا تقوم على أية قائمة . لقد كانت في دور التلميح . أما وانها قد رسخت في فكرهم ـ حتى ولو كانت على تلك الصورة البدائية ـ فان ذلك أكثر مما يطاق ! كيف يجرؤون على السماح لأنفسهم بالاخذ بمثل هذه الفكرة ؟ وفي أي ركن مظلم كانت مختفية ؟ ليتك تعلم درجة الغضب التي بلغتها بسبب ذلك !... هوذا طالب فقير يثقله العوز والهوس على وشك الانهيار تحت وطأة مرض مؤلم بلغ حد الهذيان ، أو لعله كان تحت وطأة المرض فعلا ـ لاحظ هذا ـ وهو مع ذلك تفور في نفسه الكرامة ذو وجدان من هذا المستوى ، عاش خلال [illegible] في حجرته لا يرى أحدا ، يتقدم هذا الطالب الى دائرة البوليس ـ بناء على دعوة ـ مرتديا أسماله وفي قدميه حذاء سقط نعله ، وهناك يتعرض لاهانات أمام أولئك الرجال القذرين ويحشر تحت أنفه فجأة طلب استعادة مبلغ مع المائل عليه أن يدفعه الى المحامي القضائي تشيباروف . وتكون رائحة الدهان الخانقة متصاعدة في الغرفة التي تبلغ حرارتها ثلاثين درجة بميزان ريئمور ، والهواء خانق

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

بسبب لحتشاد الجمع المزدحم هناك فيما بينهم يتحدثون عن مصرع شخص كان البارحة عنده . أضف الى ذلك الجوع الذي كان ينهش أحشاءه فكيف لا يغمى عليه بعد ذلك ؟ مع ذلك تراهم يبنون نظريتهم على أساس ذلك الاغماء . ألا ليحملهم الشيطان . انني أعرف أن هذا مزعج مثير ، لكنني لو كنت في مكانك يا روديا لانفجرت ضاحكا رغم أنوفهم جميعا ، بل وعملت خيرا من ذلك ، كنت بصقت في أفواههم واستهزأت بهم لأنه يجب معاملتهم على هذا الشكل وبذلك أنتهي منهم لئيصق عليهم ولتشجع ! انه لمخجل .

غمغم راسكولنيكوف يناجي نفسه قائلا : « انه يحسن عرض القضية » . ثم قال بصوت مرتفع تشوبه المرارة :

ـ البصاق عليهم ؟ لكنني سوف أعرض غدا للاستجواب ! فهل يجب أن أصل لدرجة تقديم تفاسير اليهم ؟ انني ناقم على نفسي لأنني أسففت البارحة اذ تحدثت الى زاميوتوف في ذلك المشرب .

ـ ليحملهم الشيطان . سأذهب بنفسي الى بورفير وثق أنني سأعامله تماما كما أعامل قريبا ، سوف أجعله يفرغ ما في جعبته . أما زاميوتوف ...

قال راسكولنيكوف يخاطب نفسه حينما بلغ صديقه هذه المرحلة : « وأخيرا فهم ! » . بينما استمر هذا مسترسلا بانفعال وقد قبض على كتف راسكولنيكوف بيده :

ـ انتظر ، انتظر . لقد نطقت بحماقة منذ قليل . نعم لقد فكرت . انك نطقت بحماقة ! أين تجد تلك الخطة الغادرة ؟ لقد قلت ان السؤال المخنص بالعاملين كان خطة غادرة ، ففكر قليلا وقل لنفسك انك لو كنت ارتكبت « هذا » بالفعل فهل كان يعقل أن تسمح لنفسك بالاسترسال لدرجة الاعتراف بمشاهدة أولئك الذين كانوا يشتغلون

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

بعثرت نقودك لدى تلك الاسرة التي ـ رغم الشقاء الذي حل بها ـ ليس فيها أشخاص يستحقون الاعتبار .

ـ أعتقد ، رغم كل اعتبارك ، أنك لا تساوي اصبع تلك الفتاة التعسة الصغيرة ، تلك الفتاة التي تلقي اليها بالحجر .

ـ على ذلك فانك لن تتردد في ادخالها في مجتمع أمك وأختك ؟

ـ بل انني فعلت ذلك ، اذا كنت تصر على معرفة الأمر . لقد أجلستها بجانب أمي ودونيا .

فهتفت بولشيري ألكسندروفنا :

ـ روديا ..!

واحمر وجه دونيا خجلا . أما رازوميخين فكان يلقي نظرات مروعة ، بينما ابتسم لوجين ابتسامة محتقرة وقال :

ـ هل ترين ، يا أفدوتيا رومانوفنا ، امكان وجود اتفاق بعد هذا، آمل أن تكون هذه القضية قد سويت الآن ووضحت نهائيا . انني سأنسحب الآن كيلا أشوش مسرات اجتماعكم العائلي وتبادلكم الاسرار .

ونهض من مكانه ، وأخذ قبعته ، وأضاف :

ـ لكنني قبل أن أبارحكما أسمح لنفسي بان ألفت انتباهكما الى أنني آمل مستقبلا أن تجنباني هذا اللون من اللقاء اذا لم أقل من الاحراج . انني أتقدم بهذا الطلب بصورة خاصة اليك ، يا بولشيري ألكسندروفنا الشديدة الاحترام ، كما ألفت نظرك كذلك الى أن رسالتي كانت موجهة اليك شخصيا وليس الى شخص آخر .

شعرت بولشيري ألكسندروفنا بصدمة في عواطفها ، فقالت :

ـ هل تضعنا تحت رحمتك ، يا بيير بيتروفيتش ؟ لقد أخبرتك دونيا عن السبب الذي من أجله لم تنفذ رغبتك . لم تكن لديها الا

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

نوايا حسنة . ثم انك تكتب الي وكأنك تصدر الي الأوامر ، فهل يعقل أن تعتبر كلا من رغباتك بمثابة أمر ؟ انني أصرح لـك بأن من الواجب عليك أن تظهر الآن رقيقا ومتسامحا كثيرا على عكس ما تبدو عليه ، لأننا اذ وضعنا ثقتنا فيك تركنا كل شيء لنحضر الى هنا . مع ذلك فانك تجعلنا منذ الآن رهن مشيئتك !

قال لوجين بلهجة شرسة :

ـ ان ذلك ليس صحيحا تماما ، يا بولشيري ألكسندروفنا ، خصوصا في هذه اللحظة بعد أن بلغتم بأن مارت بيتروفنا تركت لابنتك ثلاثة آلاف روبل . يخيل الي أن هذا المال جاء في الوقت المناسب نظرا للهجة الجديدة التي تحدثينني بها .

وأضافت دونيا بانفعال :

ـ اذا نظرنا الى ملاحظتك هذه بعين الاعتبار نستطيع أن نفترض بأنك كنت تعول كثيرا على اذلالنا استنادا الى حالتنا المادية .

ـ لكنني في الوقت الحاضر لا أستطيع ـ على الأقل ـ الاعتماد على ما تقولين ، خصوصا وأنني لا أريد أن أريك العروض السرية التي كلف آكاد ايفانوفيتش سفيدريكايلوف أخاك بابلاغها اليك والتي ـ على ما أرى ـ لها بالنسبة اليك معنى جوهريا ، بل ويمكن أن يكون معنى مرموقا .

هتفت بولشيري ألكسندروفنا :

ـ آه ، يا رب !

بينما كان رازوميخين لا يقر له قرار في مكانه .

سأل راسكولنيكوف :

ـ أو لست تخجلين الآن ، يا أختي ؟

فقالت دونيا مكفهرة الوجه من الغضب ، وهي تجيب على سؤال

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

أخيها مخاطبة بيير بيتروفيتش :

ـ انني خجلى • يا بيير بيتروفيتش ، أخرج !

كان بيير بيتروفيتش ـ على ما يبدو ـ لا ينتظر مثل هذه النهاية• كان شديد الاعتداد بنفسه وبقوته ازاء عجز ضحيته فلم يكن يصدق أذنيه في تلك اللحظة • لذلك شحب لونه وتقلصت شفتاه :

ـ يا أفدونيا رومانوفنا ، اذا كنت سأجتاز هذا الباب الآن بنتيجة هذه الكلمات الطيبة فاعلمي أنني لن أعود بعد ذلك أبدا • فكري جيدا في الأمر•• ان ما وعدت به لا زلت أتمسك به •

فصاحت دونيا ، وهي تقفز من مكانها :

ـ يا للوقاحة ! لكنني لا أريد أن تعود أبدا !

صاح لوجين ـ الذي لم يكن ولا شك يعتقد ببلوغ هذه النتيجة حتى آخر لحظة ـ وقد فقد سيطرته على عواطفه :

ـ كيف ! اذن هكذا ! اذن هكذا ! لكن أتعلمين ، يا أفدونيا رومانوفنا ، أنني أستطيع الاحتجاج عليك ؟

فتدخلت بولشيري ألكسندروفنا ، وقالت بلهجة محتدمة :

ـ بأي حق تحدثها بهذه اللهجة ؟ كيف يمكنك الاحتجاج ؟ وبأية حقوق ؟ هل سأعطي دونياي الى رجل مثلك ؟ هيا أخرج ! دعنا الى الأبد ! لقد أخطأنا نحن اذ اندمجنا في قضية غير شريفة • كنت أنا أكثر خطأ من الآخرين •

فأجاب لوجين بلهجة غاضبة :

ـ مع ذلك ، يابولشيري ألكسندروفنا، أراك تسحبين الآن الكلمة التي أعطيتيها الي وأوثقتني بها كذلك ••• أخيرا دفعت الى بذل نفقات •••

كان ذلك الادعاء متناسقا تماما مع عقلية بيير بيتروفيتش، حتى أن

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

راسكولنيكوف ، رغم شحوبه من الغضب الذي كان يعصف في نفسه، ورغم كل الجهود التي بذلها للسيطرة على أعصابه ، لم يستطع الا أن ينفجر بضحكة مجلجلة • أما بولشيري ألكسندروفنا فقد كادت أن تخرج عن وقارها ، فصاحت :

ـ نفقات ؟ وما هي تلك النفقات ؟ لعلك تتحدث عن الصندوق ؟ لكن السائق نقله لنا مجانا • رباه، هكذا اذن نكون نحن الذين أوثقناه! يجدر بك أن تذكر ، يا بيير بيتروفيتش ، بأنك أنت الذي أوثقت أقدامنا وأذرعنا وليس نحن •

فتوسلت اليها أفدونيا رومانوفنا :

ـ كفى • أماه ! أرجوك ، يا بيير بيتروفيتش، أن تتلطف بالخروج•

فأجاب ، وهو يتمالك نفسه قليلا :

ـ انني ذاهب • كلمة أخيرة : لقد قاومت من أجلك الرأي العام وقومت سمعتك منذ قررت الزواج منك وفي اللحظات التي كانت سمعتك فيها موضع التداول والشائعات العامة ، لذلك فأنني أستطيع على الاقل أن آمل الحصول على تعويض ، بل وأن أصر على طلب مكافأة • أما الآن فقد أزيل الحجاب عن عيني • انني أرى أنني تصرفت تصرفا طائشا اذ تصاممت عن سماع الشائعات العامة !

زمجر رازوميخين ، وهو يندفع من مكانه مطبقا قبضتيه :

ـ انه يريد أن نحطم له رأسه •

فقالت دونيا :

ـ انك رجل دنيء وخبيث •

بينما هتف راسكولنيكوف ، وهو يستوقف رازوميخين :

ـ ولا كلمة ! ولا حركة !

ثم اقترب من لوجين وقال له بصوت مختنق لكنه واضح ، وقد

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

أدنى وجهه من وجهه حتى كاد أن يلمسه :

ـ تفضل بالخروج دون أن تتفوه بكلمة أخرى والاّ ...

فحدجه بيير بيتروفيتش لحظات بعينيه وهو شاحب الوجه متقلصه من الغضب ، ثم استدار على عقبيه وخرج . وغني عن الذكر أن لوجين لم يشعر في حياته كلها بحقد عنيف كالذي شعر به حيال راسكولنكوف . لأنه هذا الأخير وحده الذي سبب اخفاقه ! غير أنه من الجدير ملاحظة أنه لم يكن يعتقد ، وهو يهبط السلم ، أنه خسر قضيته نهائيا . كان يعتقد بأن كل شيء يمكن اصلاحه مع تينك السيدتين .

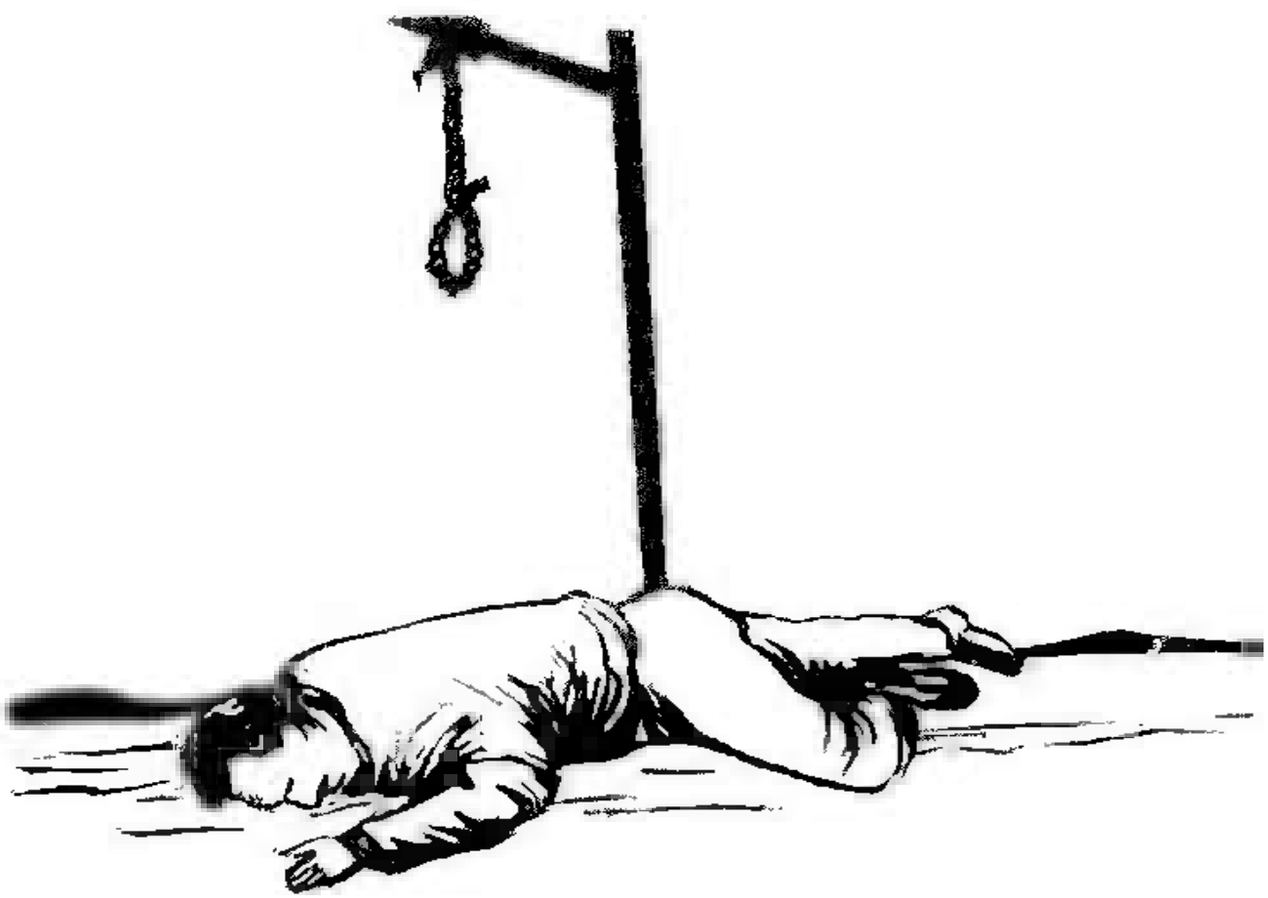

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

٣

لم يكن بيير بيتروفيتش حتى آخر لحظةمنتظرا نهاية كالتي وقعت. تلك كانت النقطة الرئيسية : تعنت على هـواه متـأكدا من أن تينك الامرأتين الفقيرتين المحرومتين من أية قوة لا يمكن لهما أن تتسربا من بين يديه . كان غروره مما أورث ذلك الافتراض في رأسه، بالاضافة الى ذلك النوع من الثقة الذي كان يعتبره قضية كرامة شخصية . لقد بدأ من لا شيء واعتاد الاعجاب بنفسه ، لذلك فقد كان يؤمن ايمانا قويا بذكائه ومعلوماته ، حتى أنه كان أحيانا يذهب الى المرآة ليتأمل وجهه فيها كلما وجد نفسه وحيدا ! غير أنه كان يقدر كل التقدير ويعتبر فوق كل شيء المال الذي جمعه بفضل عمله وبالوسائل الأخرى . كان ذلك المال يسمح له ــ على زعمه ــ أن يضـع نفسه عـلى قدم المساواة مع العناصر الأسمى منه .

تناسى بيير بيتروفيتش عندما كان يذكر دونيـا بمرارة أنه قرر الزواج منها رغم الشائعات المزعجة التي كانت تلوك سمعتها ، تناسى أنه لما عقد خطوبته عليها كان معتقدا تماما بخطأ تـلك الدسـائس التي قامت مارت بيتروفنا نفسها تدحضها وتسكنها ، وأنه منذ زمن بعيد كفت تلك الشائعات عن الرواج في المدينة الصغيرة حيث عادت سمعة دونيـا الى مستواها اللائق وعادت كرامتها الى سابق عهدهـا من التقـدير ! تناسى كل ذلك رغم أنه كان شخصيا لا يستطيع الانكار أنه ملم بهذه الدقائق منذ بعيد ، لذلك العقوق الاسود الذي جابهته به ! كان يعتبر نفسه محسنا اذ قرر رفع دونيا الى مستواه فراح يعتبر هذه البادرة منه لونا من الاحسان ، لذلك فانه لما ذهب لزيارة راسكولنيكوف دخل عليه

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

وهو منتفخ بأحاسيس المحسن الكريم منتظرا أن يقتطف ثمار عمله الطيب ، وأن يستمع الى أشد عبارات المديح حرارة ! لذلك كان وهو يهبط السلم يعتبر نفسه مغدورا جدا ، أسيء فهم قوله .

كانت دونيا بكل بساطة شيئا ضروريا ، فكان التنازل عنها أمرا لا يتقبله عقله . كان قد استسلم الى أحلامه وسكر بها ، وكان ينشد في سره : « فتاة شابة ذات أخلاق عالية فقيرة ــ وينبغي حتما أن تكون فقيرة ــ جميلة جدا ، فتية جدا ، من عائلة طيبة ، حسنة الثقافة ، شديدة الخجل ، تعرضت لكثير من الشقاء وعنت الزمن ، ستكون له متفانية كل التفاني ، وستمضي كل العمر وهي تباركه وتعتبره محسنا كبيرا ! ستكون خاضعة له ومتذوب اعجابا أمام شخصه ولن تكون لأحد سواه » . كم من مشاهد وأفكار عذبة مسكرة كانت تتمثل في خياله وهو يهدهد في سره ذلك الحلم الجذاب المرح كلما تحرر من وطأة العمل ! كان ذلك الحلم الذي كان ينتظر تحقيقه طيلة سنين على وشك التنفيذ ! لقد أذهله جمال أفدونيا رومانوفنا وثقافتها وشوقه فقرها الزائد الذي كان يخيم عليها تشويقا متناهيا حتى أنه وجد فيها أكثر من الحلم الذي كان يأمل فيه : كانت الفتاة تبدو فخورة نشيطة طاهرة ، تفوقه ثقافة وتهذيبا (وكان يشعر بذلك) .

كانت تلك المخلوقة ستحتفظ له طيلة حياتها باعتراف أقرب الى الاسترقاق لأنه تنازل وحررها من فقرها ، فهي اذن كانت ستجثو أمامه على أربع لتسره ! لم يكن عليه الا أن يأمر ليطاع . كان قد قرر في ذلك اليوم بالذات أن يبدل اتجاه حياته ليدخل في دائرة نشاط أوسع . ولكي يتقدم بخطى وئيدة في طريقه الى المجتمع الراقي الذي كان يحلم بالدخول فيه ، فقر قراره أن يجرب حظه في بطرسبورغ . كان يعرف أنه يستطيع هنا أن يربح كل شيء بواسطة النساء ، لأن الجمال الذي

PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor